الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيـــــــــارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الشعبة:دراسات نقدية

التخصص: نقد حديث ومعاصر

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستـــر الموسومة ب:

فن الترسل في التراث العربي (البنيات و الأشكال)

إعداد الطالبتين:

- سوسي زهرة
- عماري ياسمين

إشراف الأستاذ الدكتور:

أ.د دبيح محمد

أعضاء لجنـــــــــة المناقشـــــــــــة:

د.تركي امحمد	أستاذ التعليم العالي	رئيســـــــــــــا
أ.د دبيح محمد	أستاذ التعليم العالي	مشرفـــــــــــا ومقررا
أ.د بلعجين سفيان	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشـــــــا

الموسم الجامعي:2023م_2024م/1444ه_1445ه

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

بداية أحمد الله تعالى على توفيقه في إنجاز هذا العمل المتواضع والذي أمدنا بالصبر والعزيمة، وأشكر الله أيضا على جميع النعم التي وهبنا إياها ودفعنا إلى السير في طريق الحق والعمل والمعرفة.

كما نتشرف بتقديم أسمى عبارات التقدير إلى الأستاذ المشرف "دبيح محمد" ونشكره على كل النصائح والتوجيهات التي أفادتنا والذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته.

كما لا ننس لجنة المناقشة على تكرمها بقبول مناقشة هذه المذكرة.

وفي الأخير إلى كل من علمنا حرفا نقول له شكرا.

الإهداء

الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن صار على هديه إلى يوم الدين، أما بعد:

أهدي ثمرة جهدي إلى من قال فيهما سبحانه و تعالى :﴿و قل ربي إرحمهما كما ربياني صغيراً﴾ إلى نور العيون إلى من شجعتني على المثابرة طوال عمري إلى البلسم الشافي والقلب الدافئ والحنان الكافي إلى أروع أم في الوجود أمي الحبيبة من بها أعلو و عليها أرتكز و خالص الشكر إلى سندي وعوني وقدوتي إلى النور الوضاء مصدر فخري أختي ريم.

إلى صديقتي و زميلتي ياسمين و إلى كل عائلتي فرداً فردًا و كل من ساندني في مساري الدراسي و إلى كل أساتذتي الكرام

سوسي زهرة

الإهداء

الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن صار على هديه إلى يوم الدين، أما بعد:

أهدي ثمرة جهدي إلى من قال فيهما سبحانه و تعالى :﴿و قل ربي إرحمهما كما ربياني صغيراً﴾ إلى من أحمل إسمه بكل إفتخار والدي أطال الله في عره إلى من بسمتها غايتي أمي لغالية إلى كل من ساندني و كان معي إلى أقرب الناس إلى قلبي إخوتي و أفراد عائلتي و زملائي حفظهم الله

إلى زميلتي و صديقتي في البحث من كان لها بصمت في حياتي زهرة إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل الذي أسأل الله تعالى أن يتقبله و أن يوفقنا

عماري ياسمين

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن، ورفع به الإنسان، وجعله نور القلوب والأبدان وكرم لأهله بالفوز بالدنيا ويوم يحشر الثقلان، وبشر حامليه وحفظته بالمغفرة والرضوان والفلاح والفوز بالجنان، والصلاة والسلام على النبي الهادي العدنان، محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن سار على نهجه بإحسان أما بعد:

يعدّ فن الترسل عند العرب من الفنون الأدبية القديمة، ازدهر في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وفيهما انتشر صيته، وهو فن نثري جميل يظهر مقدرة الكاتب وموهبته الكتابية وروعة أساليبه البيانية المنمقة القوية. ولما كانت الكتابة والقراءة أقل شيوعا عند العرب في الجاهلية لم يكن لهذه الصناعة دور في حياتهم الأدبية

والاجتماعية في ذلك العصر، وهذا خلافا للفنون الأخرى كالشعر والخطابة والأمثال التي كانت منتشرة عندهم ومزدهرة، لكن مع مجيء الإسلام تغيرت الحال، فالرسول صلى الله عليه وسلم وهو النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب كان يشجع المسلمين على تعلم القراءة والكتابة، وقد اتخذ كتابا يكتبون له القرآن الكريم، كما يكتبون له

الرسائل التي كان يبعث بها إلى رؤساء القبائل، وملوك الدول كما فعل مع كسرى عظيم الفرس،وقيصر عظيم الروم. ولما كانت الخطابة والشعر قادرين على أداء الدور العلمي الذي تؤديه الرسالة حين تنقل ما يتصل بسياسة الدولة من مراسيم سياسية حول تنظيم الحكم أو توجيهات أو تعليمات إدارية حول الحروب والغزوات، ومن هذا المنطلق التاريخي نافس الكاتب المترسل الشاعر والخطيب .كما شجع الخلفاء الراشدون أبو بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي – رضي الله عنهم – على تعلم القراءة والكتابة، واتخذوا لهم كتابا، وعندما قامت الدولة الإسلامية أنشئ ديوان الرسائل، وهذا الديوان يعنى بشؤون المكاتبات التي تصدر عن الخليفة إلى ولاته، وأمرائه، وقادة جنده، وملوك الدول الأخرى، وقد كان الخليفة في أول الأمر هو الذي يملي الرسائل على كاتبه، ثم بمرور الزمن أخذ الكتاب يستقلون بكتابتها ثم تعرض على الخلفاء، وكان أسلوبها آنذاك تغلب عليه البساطة والوضوح، ويخلو من التأنق والتصنع. لكنه شهد نقلة كبيرة في عهد هشام بن عبد الملك عندما تولى مولاه سالم رئاسة ديوان الرسائل في عهده ثم في عهد مروان بن محمد

آخر خلفاء بني أمية الذي تولى أمر ديوانه عبد الحميد بن يحي الكاتب، وقد عرف بالبراعة في فن الترسل حتى غدت مكاتباته مضرب المثل في الجودة والإتقان حتى قيل: "بدئت الكتابة بعبد الحميد".وبعد قيام دولة بني العباس أخذ أمراؤها يولون كتابة الرسائل عناية أكثر من سابقيهم، ولهذا السبب كثر الكتاب، ونبغ كثير منهم في فن الترسل، وغدا مؤهلا للوصول إلى منصب الوزارة، ونستحضر في هذا المجال أسماء: يحي بن خالد البرمكي، وابنه جعفر، ومحمد بن عبد الملك الزيات، وأحمد بن يوسف الكاتب، وابن العميد، والصاحب بن عباد، وعبد العزيز بن يوسف وضياء الدين بن الأثير، وغيرهم.

وقد بلغ فن كتابة الرسائل أوجه في القرنين الثالث والرابع الهجريين بحيث يمكن لنا أن نصف هذين القرنين بأنهما يمثلان الفترة الذهبية لهذا الفن.

من هذه المنطلقات النظرية والتاريخية جاءت مذكرتنا الموسومة بـ: **فن الترسل في التراث العربي البنيات و الأشكال**

و موضوع مذكرتنا يستمد أهميته من طبيعة الموضوع ذاته الذي يحمل في طياته الكثير عن الحياة العقلية و الثقافية للعرب في عصور العربية المزدهرة، كما يبين عن المكانة التي كانت تتبوؤِها الكتابة و الكتاب في تلك المرحلة التاريخية الهامة، و علاقة ذلك كله ببلاط الخليفة و المجتمع العربي.

و يطرح موضوعنا الكثير من الأسئلة، لعل أهمها:

-ما المقصود بفن الترسل؟ هل هو ذلك الفن النثري الذي يتناول المراسلات الديوانية و الإخوانية؟ أم هو الكتابة و الإنشاء في حد ذاتها؟ أم يقصد به طريقة الكتابة الخاصة ببعض الكتاب الذين ازدهر صيتهم في العصر العباسي الثاني و الثالث؟

- ما هي الخصائص المضمونية و الأسلوبية لفن الرسالة في النثر العربي القديم؟

-ما الدلالات التي كانت و لازالت تحملها هذه الرسائل في الاستعمال و التداول ؟

و لتتبع مباحث هذا الموضوع و عناصره استعنا في جوانبه النظرية بالمنهج التاريخي، إذ ارتددنا للعصور التاريخية التي مر بها النثر العربي القديم و حاولنا من خلالها البحث في نشأة هذا

الفن و تطوره، و أهم التغيرات التي طرأت عليه في الفترات التاريخية المختلفة. أما فيما يخص الجانب التطبيقي فاستعنا فيه بمعطيات التحليل التداولي في مقاربة رسالة إخوانية لأبي حيان التوحيدي، و حاولنا تحديد أهم المعاني التي انطوت عليها الرسالة في الاستعمال و التداول، انطلاقا من ظروف التخاطب التي يوفرها لنا الخطاب الرسالي.

فجاء بعد ذلك عملنا في صورة ثلاثة فصول و خاتمة أجملنا فيها مختلف النتائج التي توصلنا إليها.

فالفصل الأول: مفهوم الترسل وأنواعه

تناولنا فيه الترسل الدلالة اللغوية والإصطلاحية، أنواع الرسائل منها: ديوانية ، ذكرنا أهميتها وأهم موضوعاتها وخصائصها، ثم إخوانية موضوعات وتصنيفات وخصائص، فالأدبية . ثم تطرقنا إلى نشأة الترسل عبر العصور " جاهلي، إسلامي، أموي، عباسي، في الأندلس ودول المغرب الإسلامي"

أما الفصل الثاني فقد عنوناه بـــالخصائص الخصائص المضمونية والأسلوبية لفن الترسل في التراث العربي

و فيه درسنا أصول ومصادر الترسل في الثقافة العربية القديمة، من تضمين للشعر في الرسالة الاقتباس من القرآن الكريم، تضمين الأمثال والحكاية الشعبية، الإشارة إلى الأحداث التاريخية والأعلام المشهورة، ثم انتقلنا إلى موضوعات الترسل وأغراضه، وأخيرا ذكرنا الخصائص الفنية والأسلوبية لفن الترسل.

أما الفصل الثالث: التحليل التداولي للرسالة الإخوانية في التراث العربي ، فكان تطبيقيا إجرائيا اقتطفنا فيه رسالة من الرسائل الإخوانية لأبي حيان التوحيدي و قاربناه مقاربة تداولية ففصلنا فيه تحليل الأفعال الكلامية من: الفعل النطقي، الفعل الإنجازي، الفعل التأثيري، ثم انتقلنا إلى المتضمنات ، ثم الإقراض السابق، فالاستلزام الحواري وأخيرا الحجاج، أما الإجراء التطبيقي فقد رسمنا صورة لرسالة أبي حيان التوحيدي رسما مفصلا بداية من كتابة نموذج الرسالة، إلى

التعريف بمنشئها وعصره، إضافة إلى التعريف بالمرسل إليه، فذكر ظروف وسبب التراسل وصولا إلى التحليل التداولي للرسالة.

و من الدراسات السابقة التي تتقاطع و موضوع بحثنا في بعض جزئياته:

- علة ثليجة: بلاغة الخطاب الترسلي لرسالة التوابع والزوابع لإبن شهيد الأندلسي انموذجا ، رسالة ماجستير، جامعة زيان عاشور، الجلفة ، الجزائر
- ابراهيمي صليحة: الرسالة الإخوانية في التراث العربي مقاربة أسلوبية رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس الجزائر.

و من أبرز المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها :

- محمد خير شيخ موسى: النثر الفني في النقد العربي (فن الكتابة)
- شوقي ضيف: تاريخ الأدبي العربي في العصر العباسي .
- غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة .
- زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع.

- كما لا يخلو أي بحث من معطيات تعترض سبيل الباحث كان أهمها: كثرة المصادر والمراجع وتنوعها.

و في الختام لا يسعنا إلا التوجه بالشكر و الامتنان إلى كل من أضاء دربنا و قدّم لنا يد العون من قريب أو بعيد، و على رأسهم الأستاذ المشرف

تيارت في2024/06/13

الطالبتان: سوسي زهرة

عماري ياسمين

الفصل الأول: مفهوم الترحل وأنواعه

المبحث الأول : الترسل الدلالة اللغوية و الاصطلاحية:

توطئة:

الترسل فن من فنون النثر القولية، عرفه العرب منذ القدم، وهي مثل فنون النثر الأخرى" القصة، المسرحية، السيرة الذاتية "له خصائصه المميزة التي تجعله فنًّا قائمًا بذاته.ويظن البعض أن الرسالة فن لم يظهر إلا بعد الإسلام بفترة طويلة معتمدين على المقولة المشهورة" :بدأت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد، "ولكن هذه المقولة تعني الرسالة المتميزة أدبيا، أما الرسائل كما نرى فقد عرفت منذ العصر الجاهلي ثم وجدنا الرسول صلى الله عليه وسلم يكاتب الملوك والأمراء من معاصريه داعيًا إياهم إلى الإسلام، ثم بعد ذلك عرفناها في وصايا ا لخلفاء، وفي الرسائل التي أرسلها خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس إلى ولاتهم.

و قبل الحديث عن أنواع الرسائل التي عرفت في التراث العربي لا بد من البحث في جذور كلمة (الترسل) و كيف تطورت هذه الكلمة دلاليا لتعبر عن فن نثري قائم بذاته.

أولا: الترسل لغة:

لفظ الترسل مأخوذ من الجذر (ر س ل) ، و هذا الجذر له معان متعددة و متشعبة تشترك كلها الانطلاق دون القيد أو الحبس، وقد ورد في لسان العرب لابن منظور : " رسل: الرّسَل: القطيع من كل شيء، والجمع أرسال، والرّسل: الإبل، وأرسَل: قطيع بعد قطيع، وأرسلوا إبلهم إلى الماء أرسالا أي قطعا، وإذا أورد الرجل إبله منقطعة قيل أوردها أرسالا. والترسل والرسلة: الرفقة والتؤدة، ويقال: افعل كذا وكذا على رسلك أي اتأد فيه[1].

[1] ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979، ج2، ص 392

والترَسُل كالرِّسل، والترسل في القراءة والترسيل واحد، قيل: وهو التحقيق بلا عجلة، وقيل بعضه على إثر بعض وترسّل في قراءته اتأد فيها، يقال: ترسل الرجل في كلامه ومشيه، إذا لم يعجل، وهو والترسُّل سواء.

والرسل: اللبن والخصب والسعى، والرّسل: الذي فيه لين واسترخاء. وشعر رَسل: مسترسل، والمرسال: الناقة السهلة السير. والترسل من الرِّسل في الأمور والمنطق كالتمهل والتوتر والتثبت. والرسول: بمعنى الرسالة، ومعناه في اللغة أخبار الذي بعثه، أخذا من قولهم: جاءت الإبل رَسَلاً أي متتابعة.

ونثر مرسل: لا يتقيد بسجع، وترسل الكاتب، أتى بكلامه مرسلاً من غير سجع وأرسل الكلام: أطلقه من غير تقييد ، وراسله في عمله: تابعه فيه"[1].

ونجد تعريفا لغويا متقاربا عند ابن فارس (توفي395ه) في معجم مقاييس اللغة، عن هذا الجذر:

"رسل: الراء والسين واللام. أصل واحد مطرد منقاس يدل على الانبعاث و الامتداد. الرّسل: السير السهل.

والترّسَل: ما أرسل من الغنم إلى الرعي، والرِّسل: اللبن، والرّسل: الرخاء، يقول: ينال منها في رخائه وشدته، واسترسلت إلى الشيء: إذا انبعثت نفسك إليه أنست، والمرسلات: الرياح"[2] .

من خلال هذه التعاريف اللغوية نستخلص أن جذر رسل معناه الانبعاث والانبساط، والسهولة، واللين، وتتابع وتكرار.

ونجدها عند مختار الصحاح في مادة رسل:« راسله مراسلة فهو مراسل ورسيل وأرسله في رسالة فهو مرسل (بفتح السين) ورسول والجمع رسْل والرسول أيضا: رسالة»[3].

[1] ابن فارس: مقاييس اللغة، ص 392

[2] المصدر نفسه:ص 342

[3] أبو بكر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة مشكاة الإسلامية، د ت، د ط، ص32.

أما الفعل المزيد تراسل فيحمل المعاني الآتية:

"تراسلَ، يتراسل، تراسُلاً، فهو متراسِل، والمفعول متراَسلٌ فيه

•تراسل الشّخصان :تبادلا المبعوثين أو الخطابات"انقطعَ التّراسُل بينهما تراسلا بالألحاظ: تبادلا النظرات.

•تراسل النّاسُ في الغناء ونحوه :اجتمعوا عليه يبتدئ هذا ويمدّ صوته ثم يسكت ويأخذ غيرُه في مدِّ الصوت وهكذا"لا تراسل في الأذان: لا تتابع في أدائه[1]"

أما الفعل المزيد ترسّل فهو من "ترسّلَ، يترسّل، ترسُّلاً، فهو مُترسِّل، والمفعول مترسَّلٌ فيه.

•ترسّل الكاتبُ :أتى بكلامه من غير سجع ولا محسّنات.

•ترسّل القارئُ في قراءته :حقّقها بلا عجلة، تمهّل فيها" ترسّل الباحث في دراسة الموضوع متوخيًا الدِّقة."

•ترسّل في القعود :تربّع وأرخى ثيابه على رجليه وحوله"[2]

مما سبق نجد أن الترسل في اللغة يدل على الرفق والمودة و التأني في كل شيء، و ما دخل الترسل في أمر من الأمور إلا زاده هيبة و جمالا و رونقا.

ثانيا: الترسل اصطلاحا:

اختلف الباحثون و الدارسون للنثر العربي القديم عامة و الترسل خاصة حول الدلالات الاصطلاحية التي يحملها لفظ الترسل في ثلاث اتجاهات:

[1] أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008، ص200.
[2] المصدر نفسه : ص 202.

أولا– الترسل مرادف للكتابة النثرية عموما.

و في خضم حديثه عن كتابة الإنشاء يرى القلقشندي (ت 821هـ) أن " صناعة الترسل تسمية للشيء بأعم أجزائه، إذ الترسل والمكاتبات أعظم من كتابة الإنشاء وأعمها من حيث أنه لا يستغني عنها ملك ولا سوقة ".[1]

ثانيا– الترسل فن أدبي متميز بموضوعه وغرضه ضمن فنون النثر العربي القديم. و هو من المصطلحات الأدبية المولدة، ويراد به كتابة الرسائل[2].

و التراسل بمعناه العام : " حديث خطّي بين الكاتب و الموجَّه إليه، وهو يسُدفي واقعه حاجة اجتماعيّة و ليس له في الأَصل أيٌّ طموح أدبّي، لأنّ الغاية الأولى منه هي وَصْل اثنين أو أكثر ذهنياً عن طَريق التّكاتب، فهو إذا يتّصفُ بالخصوصيّة و المألوفيّة، موْضوعه الحياة نَفْسها، كُلُّ الحَياة، على تنوّع وُجوهها ،المختلفة بتعاقب الأَيام والسّاعات حَسب حاجات المتراسلين. و هو يُنبيء بالأَخْبار الدَّاخليّة و الخارجيَّة، ويشير إلى النَّاس وأشيائهم المرتبطة بمواقف الكاتب أو المكتوب إليه وهو إلى كلّ ذلك تاريخ الأحداث اليوميّة، أو أخْبار أُسرة ، أو طبقة، أو مجتمع. تشيعُ فيه الفُكاهة، و تَخْتَلط الأخْبار على غير نسق منطقيّ، و تَمْتزج بالتأَملات العميقة و تَتجاوز فيه الأفْكار العَامّة، و الإحساسات الشَّخْصيّة، و هو في عبارة موجزة، تاريخ نَفْس تَكْشف عن طوّيتها أمام نَفْس أُخرى.

والميزة الأَساسيّة في التّراسل هي الطَّبيعة الّتي تَنْطلق منْها جميع الميزات الأُخرى، من صدْق العاطفة، و بَساطة الشَّكْل. غير أَنّ الرّسالة الُمنبعثة أَصْلا عن السَّجيّة قد يسْبقها التَّأمُّل في محتواها، و يرافق كتابتها السَّعيُ

[1] القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1987، ج1، ص84.

[2] ينظر مهنا علي جميل: الأدب في ظل الخلافة العباسية، ط1، 1981م،ص222.

لاخْتيار الأَلفاظ المفْصحة بدقّة عن المعاني، و العبارات المبنية عن الخواطر، و مع هذا فإنّ صياغتها العامّة تبدو للقارئ من فَيْض العَفْويّة"[1]

وأما التراسل بمعناه الخاص فقد حدد إبراهيم بن محمد الشيباني الرياضي (ت 298هـ) شروطه بقوله: "إذا احتجت إلى مخاطبة أعيان الناس وأوساطهم أو سوقتهم فخاطب على قدر أبهته وجلالته، وعلو مكانته وانتباهه، وفطنته ولكل طبقة من هذه الطبقات معدن ومذاهب يجب عليك أن ترعاها في مراسلتك، فلا تكتب لمن أصيب في ماله أو في عياله كما تكتب لمن فرغ ووفر ماله"[2].

ويطلق على فن الرسالة المكاتبات، وتعرف المكاتبة بأنها "مخاطبة الغائب لسان القلم، ويجب أن يراعى فيها أحوال الكاتب والمكتوب إليه، ونوع العلاقة بينهما، وقد تنبه إلى ذلك القدماء وأوصوا به"[3]

والرسالة فن عربي قديم ما زال له دوره وأهميته، وقد احتوى كتاب جمهرة رسائل العرب على طائفة من الرسائل في مختلف العصور. وتبدو فيه التقاليد الفنية التي تَرَسَّمها المنشئون في هذا الميدان.

والمراد بالرسالة هنا هو الخطاب المكتوب في غرض جزئي، يبعث به صاحبه إلى آخر.

"وقد عرفت الرسائل منذ الجاهلية في بعض البيئات التي عرفت فيها الكتابة، ولما جاء الإسلام كتب الرسول عليه السلام إلى ملوك العرب والعجم يدعوهم إلى الدين وتبعه الخلفاء من بعده.وأخذ هذا الفن يرقى، ويتنوع مع تقدم الحياة الإسلامية حتى صار من أكثر فنون الأدب شيوعا، وأغلبها على حياة الدواوين وبين الأفراد.

وكان كتاب الرسائل من أخص الرجال، وأقربهم إلى الخلفاء والملوك، وأسبقهم إلى مناصب الوزارة، كما كان لهم ذوق أدبي جميل، ورأي في النقد محترم سديد وتوالت منهم طبقات كانوا عماد الدولة وألسنتها

---

[1] جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ط2، ص 63-64

[2] السيد أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أبيات وإنشاء لغة العرب، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، لبنانص44

[3] محمد صالح الشنطي: فن التحرير العربي، ص 173-174

الناطقة، ومستشاريها المأمونين، في وقت لم تكن هناك صحف منشورة، ولا منتديات عامة، ولا خطب قائمة"[1]

و في المعجم المفصل في الأدب يميّز محمد التونجي بين الرسالة الحقيقية و الرسالة بمعناها المجازي، فالرسالة :"ما يكتبه المرء إلى صديقه أو أهله وتكون موجزة محدودة الموضوع سهلة الأسلوب خالية من التأنق اللفظي غالبا"[2].

أما الرسالة بمعناها المجازي " فهي بحث علمي يعد طلاب الجامعات لنيل درجة عالية فوق الإجازة"[3].

"وقد اشترط في الرسالة الخاصة أن تحتوي على خمس خواص وهي:

-السذاجة :التي تجعل الكلام بعيدًا عن التكلف والزخرفة والبهرجة المفتعلة.

-الجلاء" :الوضوح "حيث يخلو الكلام من الغموض والتعقيد فيتصف بالوضوح.

-الإيجاز :ويعني خلو الكلام من الحشو والتطويل.

-الملاءمة :أي التناسب بين الكلام ومنزلة المرسل إليه.

-الطلاوة :والمقصود بها العذوبة، وجودة العبارة، وسلامة المعنى، وسلاسة القول "[4]

[1] أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، مصر ، ط8، 1991، ص 113

[2] التونجي محمد: المعجم المفصل في الأدب العربي،ج2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1993م،ص478.

[3] المصدر نفسه: ص 478

[4] السيد أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أبيات وإنشاء لغة العرب، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان "د. ت" ص44

ثالثا:الترسل طريقة في الكتابة النثرية، لها خصائص أسلوبية مميزة.

و "المترسِّلون "هم أصحابُ الترسُّل، وهو صناعة إنشاء الكلام النثري؛ فإن الإنشاء يُطلق عليه اسم الترسل إطلاقًا شائعًا، وقد سَمَّى شهابُ الدين محمود الحلبي كتابه في صناعة الإنشاء (حسنَ التوسل إلى صناعة الترسل)"[1]

في حين يعرفه جرجي زيدان بأنه : " إنشاء المراسلات على الخصوص، لأنهم يريدون به معرفة أحوال الكاتب والمكتوب إليه، من حيث الأدب والمصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة، وهو الذي يتغير من الأعصر ويشمل على المراسلات والخطب ومقدمات الكتب لأن أساليبها متشابهة"[2].

إلا أن اختلاف وجهات النظر في تحديد المقصود بالترسل لا يلغي حقيقة وجوده، و إذا كان أساس تصنيف الخطاب هو الوظيفة التعبيرية التي يؤديها، فإن من أشكال التعبير ما ليس سردا و لا وصفا ولا حجاجا، و إنما هو شكل يؤدي وظيفة أخرى غير تلك التي تؤديها هذه الأشكال، فالحاجة إلى التعبير هي التي قادت إلى وجود فنون أدبية قديمة كالرسالة، و هي التي أفضت في العصر الحديث، استجابة لتطور الإنسان العربي و حاجاته إلى التعبير إلى وجود عدة فنون أدبية كالمقالة الأدبية و الخاطرة اليومية، يتروى كاتبوها في إنشائها، و يبثون تأملاتهم و أفكارهم و رؤاهم في الحياة و الكون، و يمتاز أسلوبهم فيها بخصائص تجعلها ضربا من ضروب النثر الفني في الحديث كما في القديم.

[1] الطاهر بن عاشور: جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، جمعها وقرأها ووثقها: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2005، ج3، ص400.

[2] زيدان جرجي: كتاب تاريخ آداب اللغة العربية، ج2، مطبعة الهلال، 1930م، ص 34.

رابعا: أنواع الرسائل:

الرسائل في نشأتها الأولى نوعان :شخصية أو إخوانية، ورسمية أو ديوانية، وقد كان للرسائل الديوانية تقليدها ورسومها، وقد عبرت الرسالة الديوانية عند ظهورها عن انعطافة هامة في تاريخ النثر العربي، ليس هذا فحسب بل أدت إلى ظهور طبقة من الكتاب نهضت بهذا الفن مثل :عبد الحميد الكاتب الذي يعد بحق صاحب نهج جديد في الكتابة النثرية العربية، إذ يقال بدأت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد، وقد احتوى كتاب جمهرة رسائل العرب على طائفة من الرسائل في مختلف العصور. وتبدو فيه التقاليد الفنية التي تَرَسَّمها المنشئون في هذا الميدان[1].

1-الرسائل الديوانية:

تسمى الرسائل التي تصدر عن الديوان بالرسائل الديوانية نسبة إليه، و هي كل المكاتبات التي "تصدر عن الدواوين أو ترد إليها خاصة بشؤون الدولة وصوالحها تيسيرًا للعمل، وتثبيتًا للنظام العام؛ ويغلب على هذا النوع، الدقة والسهولة في التعبير، والتقيد بالمصطلحات الحكومية والفنية، والمساواة في العبارة والبراءة من التهويل والتخيل؛ إذ كانت صورة موضوعات وزارية وأفكار خاصة، ومع ذلك كانت في العصور الإسلامية الأولى مجالًا للبلاغة، وحسن التقسيم والتعبير"[2]

[1] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهية، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة ط1، 1972

[2] أحمد الشايب: الأسلوب، ص 13

وموضوعاتها متنوعة فهي" تشمل الرسائل التي تصدر على تولية العهد وتولية القضاة، والولاة، وما يتصل بأمور الرعية كما أنها تشمل أيضا الرسائل التي تكتب عن الخليفة أو الملك أو الرئيس أو الوزير أو إلى من هو مثله من أجل التهنئة أو البشارة أو المعاتبة أو التعزية، وما أشبه ذلك "[1].

ونجد مفهوما آخر للرسائل الديوانية" بأنها تلك الكتب الصادرة عن ديوان الإنشاء متضمنة غرضا محددا، يكون فيها اسم السلطان أو ما ينوب عنه صريحا، باعتباره المقصود بهذه الرسالة، ولابد من كتابة تاريخ الرسالة، وعلامة السلطان عليها"[2].

لقد اجتهد الباحثون قديما في دراساتهم لتحديد مفهوم الرسائل الديوانية فابن خلدون (ت 808هـ) يقول:" أنها تعني المخطابات لمن بعد عن السلطان، وتنفيذ الأوامر فيمن حجب عنه"[3].

في حين أن القلقشندي (ت 821هـ) أعطى مفهوما لها أكثر وضوحا وتفصيلا" كل ما رجع إلى صناعة الكتابة، وإلى تأليف الكلام، وترتيب المعاني، من المكاتبات، والولايات والمسامحات والإطلاقات، ومناشير الاقتطاعات، والهدن والأمانات والأيمان وما في معنى ذلك"[4]. و في تعريفه هذا توسيع لمفهوم الرسالة الديوانية إذ لم تعد تصدر عن الملك أو صاحب السلطة فقط.

[1] عبد الحليم حسين جدوع الهروط: الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني أحمر، رسالة ماجستير في اللغة العربية وأدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، أيار، 1994م، ص25.

[2] عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ت: علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، ط1، جانفي 1958م، ص618.

[3] الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، ط2،الرياض، السعودية ، ص203.

[4] المرجع السابق: ص 159.

" تعد الرسائل الديوانية مصادر قيمة تؤرخ للدولة، وتبين علاقة الحاكم والمحكوم، والعلاقات الاجتماعية وعلاقة الدول بالدول الأخرى، فهي وثائق رسمية صادرة عنها وهي بذلك أهم المصادر وأفضلها لدراسة فترة معينة لدولة معينة"[1].

وترجع أهمية الرسائل الديوانية" إلى خطورتها إذا ما أسيء إنشاؤها، وقد تكون مصدر خير إذا ما أحسن إنشاؤها فبالكتابة والكتاب قامت السياسة والرياسة"[2]. فهي قوام الملك وضبط قواعده وهي اليد التي بها الأخذ والعطاء، والمنع والإمضاء والبسط والقبض، والوصل والقطع، والسر والجهر، والنهي والأمر[3].

" ولعل أول رسالة ديوانية المعاهدة التي كتبها الرسول –صلى الله عليه وسلم –حين نزوله المدينة بين المهاجرين والأنصار"[4] .

وتعد رسالة التولية والعزل من أمثلة هذا النوع، و منها رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري التي يقول فيها بعد البسملة، "أما بعد، فإن للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عمياء الجهالة، وضغائن محمولة، أقم الحدود، ولو ساعة من النهار..."[5].

ثم انتقل هذا النشاط الكتابي إلى الشام"منذ عهد معاوية أول خلفاء بنى أمية، لما كان من اتخاذه لديوان الرسائل، واتخذ معه ديوانا للخراج وديوانا ثانيا للخاتم، أو ختم الرسائل التي تصدر عنه إلى الولاة، إذ مضى معاوية ومن تلاه من الخلفاء الأمويين على اختيار من يقومون عليه، بحيث يكونون في الذروة من البيان

[1] القلقشندي: صبح الأعشى، ص 443.
[2] القلقشندي: صبح الأعشى: ص66.
[3] عبد الحليم حسين جدوع الهروط: الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني أحمر،ص26.
[4] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، ج1، ص31.
[5] أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، مكتبة النهضة ، ط3،مصر، 1964 م، ص579.

والبلاغة لزمنهم، وقد ظلوا طوال القرن الأول يختاروهم من العرب، ويذكر الجهشياري[1] أثباتا طويلة بأسمائهم. أما ديوان الخراج فكان يقوم عليه كتاب من الموالي فأصبح كتابه من العرب، وسرعان ما عنى الكتاب الأجانب بتعلم العربية وأخذوا يشاركون في ديوان الرسائل"[2].

-موضوعاتها:

عني الباحثون والدارسون بجمع الرسائل الديوانية ابتداء من رسائل أبي بكر بن الخطاب الغافقي (636هـ)، ولسان الدين بن الخطيب (776هـ) الذي ذكره القلقشندي في كتابه صبح الأعشى باعتبار بعض رسائله أنموذجا للكتابة الديوانية.[3]

تعددت مواضيع الرسائل واختلفت ونجد للباحث الأكاديمي عبد الحليم حسين في مذكرته الموسومة بالرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني أحمر تصنيفات نذكر منها :

"-التهاني: ومن الرسائل التي وصلت إلينا رسالة بعث بها الغني بالله إلى سلطان مصر الملك الأشرف شعبان بن حسين يهنئه فيها باستعادة الإسكندرية من الصليبيين.

-الفتوحات: مثال ذلك رسالة بعث بها الغني بالله إلى سلطان المغرب يعلمه فيها بفتح حصن أشير.

-رسائل الشكر على الهدايا: رسالة أبي الحجاج يوسف الأول إلى سلطان المغرب، أبي بكر عنان المريني يشكره فيها على هدية بعث بها إليه، وهي عبارة عن خيول وسيوف وذهب.

-المعاهدات وتوكيد المعاهدات: رسالة أبي عبد الله محمد الثاني إلى الملك أرغون عام 701هـ .

---

[1]) ت 331 .هـ 943 /م(الجَهْشَيَاري : مؤرخ و أديب من الكوفة

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ج6، ص 295

[3] عبد الحليم حسين الهروط: الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني أحمر،ص55.

-الاستنجاد: رسالة محمد الفقيه 671-701هـ إلى سلطان المغرب.

-التعازي: هذه الرسائل تنوب عن السلطان بشخصه للعزاء وكانت ترفق مع وفد رسمي لهذه الغاية، ومن هذه الرسائل رسالة أبي الحجاج يوسف الأول733 هـ إلى نظيره المغربي يعزيه بوفاة والدته.

-**الرسائل النبوية:** تعد الرسائل النبوية تعبيرا عما يعتري الأمة الإسلامية في الأندلس من خوف وقلق على مصيرهم، ومن أول الرسائل التي وصلت إلينا، رسالة أبي زكرياء الحفصي(ت 647 هـ) ورسالة كتبها أبو عبد الله محمد بن محمد بن الجنان "[1].

-خصائصها:

الدقة والسهولة في التعبير والتقيد بالمصطلحات الحكومية والفنية والمساواة في العبارة والبراءة من التهويل والتخيل.

الالتزام في صدر الرسالة بالبسملة والتحميدات الخاصة في موضوعات معينة كالتولية و رسائل الجهاد .

تضمين الرسائل الديوانية آيات قرآنية لتدعيم أراء وحجج الكتاب.

تضمين أبيات شعرية في بعض الرسائل.[2]

[1] عبد الحليم حسين الهروط: الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني أحمر ، ص 56-70.

[2] علي بن محمد: النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس، مضامينه وأشكاله، ج1، دار الغرب، ط1،د ب، 1990م، ص208.

2-الرسائل الإخوانية:

يأتي هذا النوع من الترسل في مقابل الترسل الديواني، فقد عرّفة القلقشندي بقوله:" الإخوانيات جمع إخوانية نسبة إلى الإخوان والمراد المكاتبة الدائرة بين الأصدقاء".[1] و يطلق عليها الرسائل الشخصية و كذلك الذاتية. و" هي التي يكتبها الناس بعضهم إلى بعض في موضوعات إخوانية كالتهنئة والتعزية والبشارة والعتاب وغير ذلك من أمور الحياة"[2].

ولهذا النوع من الرسائل ميدان فسيح للإبداع يتبارى فيه الأدباء والكتاب وتتيح لأقلامهم أن تنطلق على سجيتها وأن يعبر أصحابها عن عواطفهم الشخصية في لغة مصقولة منتقاة وبأساليب قوية.

ونجد أيضا" أن هذه الرسائل كانت تعرف برسائل الأشواق وذلك لدورانها بين الأقارب والأصدقاء، وفي أنها تكشف عن مكنون الوداد وسرائر الفؤاد"[3] .

-موضوعاتها وتصنيفاتها:

للرسائل الإخوانية أنواع شتى تتنوع بحسب الموضوعات التي تعالجها وهي أكثر شمولا من الرسائل الديوانية " من حيث تنوع الموضوعات تعالج هموم العصر، تدور حول الإخاء، الصداقة، الشوق، الشكر، عتاب أو اعتذار"[4].

[1] القلقشندي: صبح الأعشى، ص126.
[2] الموسوعة العربية العالمية، ص72.
[3] المصدر نفسه: ص61.
[4] زبير دراقي: المستقصي في الأدب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995م، ص193.

وقد صنف القلقشندي الرسائل إلى " سبعة عشر نوعا هي: التهاني، التعازي، الشفاعات، الشوق، الاستزارة، اختطاب المودة، خطبة النساء، الاستعطاف، الاعتذار، الشكوى، استماحة الحوائج، الشكر والعتاب، السؤال عن حال المريض، الأخبار والمداعبة"[1].

-خصائصها:

- الافتتاح بالتحية والسلام وتضمنها آيات من القرآن الكريم.

- ارتقاء أسلوب التعبير وجزالته.

- عذوبة اللفظ ومتانته .

- ثراء المضمون وعمق دلالته.

- التعبير عن الأحاسيس والمشاعر.

- التصوير الفني والإيقاع الموسيقي.

- كثرة السجع واستخدام الترادف.

- اليسر والوضوح في اللفظ.

- الاعتصام بركن الفطنة أخذا بقول أبي الأسود الدؤلي:

[1] القلقشندي: صبح الأعشى، ص5.

لا ترسلن رسالة مشهورة لا تستطيع إذا مضت إدراكها[1]

وهذه الرسائل تعتبر نموذجا لفن نثري راق، وفي هذا يقول أحمد الشايب:

فهي "أدخل في الأدب وأقبل للتخييل، وللصور البيانية والصنعة البديعية، تحتمل الاقتباس من المنثور والمنظوم، وتنافس الشعر في جل أغراضه"[2].

ومن أمثلة الرسائل الاخوانية: "رسالة بشير بن مروان بن الحكم إلى أخيه عبد العزيز معتذرا له عما بدر منه في قوله:

بسم الله الرحمن الرحيم لولا الهفوة لما احتيج إلى العذر، و لم يكن لك في قبوله مني الفضل، ولو احتمل الكتاب أكثر مما ضمنته لزدت فيه، وبقي الأكابر على الأصاغر من شيم الأكارم، ولقد أحسن مسكين الدارمي حيث يقول:

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع إلى الهيجاء بغر سلاح

وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح"[3]

وفي كل ما تقدم يمكننا القول أن الرسائل الاخوانية من أهم الفنون النثرية فلقد تلونت بتلون مشاعر الإنسان والأحاسيس الوجدانية.

[1] أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء العرب، ج1، ص 45

[2] أحمد الشايب: الأسلوب، ص113.

[3] زبير دراقي: المستقصي في الأدب العربي، ص194.

3-الرسائل الأدبية:

يتصل هذا النوع من الرسائل بالأخلاق والسلوك، وتدور حول وصف الطبيعة والسيف والقلم، والرحلات، وحث الحكام على ترجيح الكلمة، ويعرفها حنا الفاخوري بقوله :

" أما الترسل الأدبي فقد انصرف إلى جميع الكتاب، واحتوى على الإخوانيات بأصنافها والمناظرات والمناقشات والمقدمات والقصص الخيالية والمقامات، وكان من أغراضه الاعتذار والشوق والمدح والهجاء والعتاب والرثاء والشكوى، والاستعطاف والوصف والاستهزاء والمناظرات بين السيف والقلم وأصناف الزهور والحيوان وما إلى ذلك"[1].

وقد ازدهرت في العصر العباسي و الأندلسي، إذ اتخذها الأدباء وسيلة لتصوير عواطفهم ومشاعرهم ونافسوا الشعراء في مجال الوجدانية، وأظهروا براعة فائقة فكان الكاتب في الرسالة الأدبية يجري فيها الطباق والتقابل والاستعارات والصور والرصف الدقيق للعبارات، وانتشر السجع بينهما[2] .

و في رسالة التوابع و الزوابع" خصص هذا النوع للحديث عن بعض الموضوعات الأدبية، أو العلمية أو الدينية أو التاريخية، وهذا النوع من الرسائل يدخل في باب التأليف ولا يدخل في باب الترسل إلا نادرا، ومن أمثلة ذلكبعض رسائل أبي العلاء المعري مثل رسالة الغفران، ورسالة الصاهل والشاحج ورسالة الملائكة، وقد عرف هذا اللون بالرسائل الأدبية، إذ فتحت الباب لمن جاء بعده من الكتاب للإبداع في هذا الفن من الترسل في المشرق والأندلس على سواء"[3].

---

[1] حنا الفاخوري: في الأدب العربي وتاريخه، ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1991م، ص43.

[2] ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، الدار البيضاء للكاتب،د ط، ليبيا، 1978م، ص22.

[3] علة ثليجة: بلاغة الخطاب الترسلي- رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي أنموذجا-، ص94.

ومن أمثلة هذا النوع من الترسل في الحضارة الأندلسية" رسائل ابن شهيد التي لم تصلنا إلا أثار متفرقة في كتب الأدب، رسالة التوابع والزوابع، أو شجرة الفكاهة التي تعرض جملة من المشاكل الأدبية بطريقة قصصية مما جعل رسالة أبي العلاء المعري رسالة الغفران تتشابه معها والخلاف في جوهر الموضوع يرجع إلى طبيعة روح ونفسية الكاتبين، فأبو علاء يحرص على تقديم المعضلات الدينية والفلسفية، وابن شهيد يهمه عرض المشكلات الأدبية والبيانية بما يلاءم عصره"[1].

وهناك مثال آخر عن الرسائل الأدبية وهي الرسالة الهزلية التي كتبها ابن زيدون على لسان ولادة بنت المستكفي إلى ابن عبدوس منافسه في الحب والسياسة:

"أما بعد،أيها المصاب بعقله، المورط بجهله، البين سقطه، الفاحش غلطه العاثر في ذيل اغتراره، الأعمى عن شمس نهاره، الساقط سقوط الذباب على الشراب، المتهافت تهافت الفراش في الشهاب، فان العجب أكبر، ومعرفة المرء نفسه أصوب، وإنك راسلتني مستهديا من صلتي ما صفرت منه أيدي أمثالك، متصديا من خلّتي ما قُرعت دونه أنوف أشكالك، مرسلا خليلتك مرتادة، مستعملا عشيقتك قوادة، كاذبا نفسك أنك ستزل عنها إلي، وتخلف بعدها علي ولست بأول ذي همة دعته لما ليس بالنائل.

ولا شك أنها قلتك إذ لم تضن بك، وملتك إذ لم تغر عليك، فإنها أعذرت في السفارة لك، وما قصرت في النيابة عنك، زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه، واستعليت في مراتب الجلال، واستوليت على محاسن الخلال، حتى خلت أن يوسف –عليه السلام – حاسنك فغضضت منه، وأن امرأة العزيز رأتك فسلت عنه وأن قارون أصاب بعض ما كترت، والنّطِفَ عثر على فضل ما ركزت، وكسرى حمل غاشيتك، وقيصر رعى ماشيتك، والضحاك استدعى مسالمتك، وجذيمة الأبرش تمنى منادمتك، وشيرين قد نافست بوران فيك، وبلقيس غايرت

[1] ابن شهيد الأندلسي: رسالة التوابع والزوابع، تح: بطرس البستاني، دار صادر، ط1، بيروت، 1967م، ص135.

الزباء عليك، وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك، والحمالات بين عبس وذبيان أسندت الى كفالتك، وأن احتال هرم بن سنان لعلقمة وعامر حتى رضيا كان عن إشارتك

وأنك المقول فيه : ((كلّ الصيد في جوف الفرا)).

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

والمعنى بقول أبي تمام:

فلو صورت نفسك لم تزدها عليما فيك من كرم الطباع

والمراد بقول أبي الطيب:

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد من أبياتها

ثم يختم ابن زيدون رسالته الهزلية بأبيات من شعر المتنبي في هجاء كافور الإخشيدي[1].

[1] علة ثليجة: بلاغة الخطاب الترسلي- رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الاندلسي انموذجا-، ص95.

المبحث الثاني: نشأة فن الترسل

توطئة:

لقد تم تأسيس ديوان خاص للكتابة تم تسميته بديوان الرسائل، وكما يبدو أن هذا الفن قد خص بعناية فائقة من السلطة الحاكمة والتي بلغ الكتاب شأنا كبيرا ومكانة لافتة لدى الخلفاء والحكام والوزراء.

ويمكننا تتبع نشأة هذا الفن وتطوره عبر العصور التاريخية التي مر بها الأدب العربي.

أولا: في العصر الجاهلي:

انزوت الكتابة في العصر الجاهلي وانحصرت في بعض الوصايا والحكم والأمثال والمعاملات والوصايا، فلذلك ظلت "الكتابة محصورة في حدود المطالب اليومية وربما في أضيق نطاق ممكن من تلك المطالب "[1]، وقد يكون ذلك لاعتداد العربي القديم بذاكرته حيث أن "فكر البدوي القديم الذي يعتبر الكتابة شكا في ذاكرته التي طال اعتداده بها"[2]، مما أثر على ممارسة الكتابة أو تعلمها.

ثانيا: في العصر الإسلامي:

مع إشراق شمس الإسلام وبزوغ فجر النبوة، أخذت الرسالة منحى آخر في العصر الإسلامي، لما انبعث من أفكار نيرة في عقول جيل الصحابة الكرام المتأثرين بالرسالة المحمدية، وبما أن الإسلام جاء للناس كافة" فإن الرسول –صلى الله عليه وسلم– عندما استقر به المقام في المدينة المنورة، عاصمة الدولة الناشئة، أخذ يرسل برسائل لملوك وحكام أكبر الدول المحيطة، إضافة إلى أمراء العرب يدعوهم إلى الإسلام، فنذكر على سبيل المثال رسالة وجهها النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم و كسرى ملك الفرس، والمقوقس عظيم القبط

[1] مي يوسف خليف: النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، دار قباء للطباعة والنشر، ص25

[2] المرجع نفسه، ص26.

في مصر، والنجاشي ملك الحبشة، وائل بن حجر في حضرموت"[1]، ويتبين من خلال هذه الرسائل أنها تتميز برقة جملها، لما تحمله من كلمات تدل على ما يتميز به أهل الديانات السماوية، "ففي رسالته إلى هرقل، يقول فيها النبي- صلى الله عليه وسلم-: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، وأما بعد، فإنني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين..."[2] .

و يلاحظ أن كلمات الرسالة موجزة كثيفة بليغة لها موقع في القلب و العقل.

" أما رسالته عليه السلام إلى كسرى، ففيها تذكير بالعقيدة وإنذار وتحذير، حيث يقول فيها : بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا اله إلا الله وأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا، أسلم تسلم، والتذكير بالعقيدة والإنذار جاء لكسرى لأنه مشرك يعبد النار وفاسد العقيدة"[3]

« ولكن رسالته للنجاشي فقد تميزت بالإطالة النسبية والاحترام المتبادل بين المرسل والمرسل إليه، وفي هذه الرسالة يقول صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم ،من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم وروح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وأني أدعوك إلى الله، وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإنني رسول الله، وإنني أدعوك و جنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت

[1] فيصل حسين طحيمر العلي: فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب و ابن العميد، ص17.

[2] مي يوسف خليفة: النثر العربي بين صدر الإسلام والعصر الأموي دار القباء للطباعة والنشر، ص 29-36.

[3] ابن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ت محمد أبو الفضل إبراهيم،ج2، دار المعارف، مصر، ص 654.

فاقبل نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى"[1]. و في هذه الرسالة راعى النبي –صلى الله عليه و سلم– ثقافة المتلقي و حالته النفسية فخاطبه بما يمثل نقاط الاشتراك بينهما و في معرفة قصص الأمم الغابرة.

" لقد تضمنت مجمل الرسائل في العصر الإسلامي الدعوة إلى الإسلام، والإيمان بالله عز وجل ونشر الدين والدعوة إلى مكارم الأخلاق، كما أن هناك بعض الرسائل كتبت بهدف التعليم ومن ذلك رسالته كتبها أهل المدينة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونه فيها إلى أن يبعث إليهم قوما يفقهونهم في الدين، جاء فيها: أبعث إلينا رجلا يفقهنا في الدين، ويقرئنا القرآن، كما كان يشجع المسلمين على القراءة والكتابة، لذلك وجدنا في غزوة بدر الكبرى يطلب ممن يحسنون الكتابة والقراءة من كفار قريش الذين كانوا أسرى أن يعلموا عددا معينا من أبناء المسلمين لقاء فدائهم، وما ذلك إلا لخطر الكتابة وعظمة شأنها، وقد اتخذ الرسول –صلى الله عليه وسلم – كتابا يكتبون له القرآن الكريم ويكتبون رسائله التي كان يبعث بها إلى رؤساء القبائل، وزعماء المناطق وملوك الدول، وقد كانت رسائل الدعوة النبوية هي أظهر ما وجد في العهد النبوي من نثر مكتوب، فما من عهود ومواثيق بين الأنصار والمهاجرين واليهود أو بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش، إلا كتابة مرهونة بحركة الإحداث المحيطة بالدعوة النبوية ، لا تصل في قمتها إلى الترسل النبوي، أو إلى الترسل الراشدي وما بعده"[2].

"ويحاول طه حسين أن يقلل من معرفة العرب في عصر النبوة بالكتابة وما ينتظم فيها من جمل وعبارات فيقول: نص المعاهدة التي عقدت بين المسلمين والأنصار والتي أنزلت العرب من المهاجرين والأنصار منازلهم في المدينة،

[1] المرجع نفسه، ص 652.

[2] ينظر: فيصل حسين طحيمر العلي: كتاب فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب و ابن العميد، ص 41

كانت كتابة قوم لم يؤدوا أغراضا سياسة بهذا النوع من الأداء، وإنما كانت تؤدي بالأحاديث فكتبت في الصحف، كما كانت تردد في الأحاديث"[1].

" ولكن الذي يتفحص رسائله صلى الله عليه وسلم، خاصة تلك التي أرسلت لأمراء العرب يرى مدى الفصاحة التي كتبت بها، كتلك التي أرسلها لوائل بين حجر الحضرمي، فالرسول صلى الله عليه وسلم رغم أميته لكنه كان رمزا للفصاحة والبلاغة والبيان"[2]، فلذلك روي في كتاب صبح الإنشاء: " الأمية في رسول الله صلى الله عليه وسلم فضيلة وفي غيره نقيصة"[3]. و كان ذلك كله لنفي المظنة عنه.

"إن فن الرسالة في العصر الإسلامي كان صورة حية لمختلف مناحي الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والعقائدية بكل ما فيها، فقد اتسمت الرسائل في العهد الإسلامي بأسلوب الترغيب والترهيب والمزاوجة بينهما، من أجل نشر معالم الدين الإسلامي والدعوة إليه، كما تميزت بتأثرها الواضح بأسلوب القرآن، إضافة إلى إيجازها والتأنق الكبير في البلاغة والأسلوب مع الفصاحة والابتعاد عن الغرابة، حيث كان مجمل الرسائل ذات طابع ديني".[4]

خصائص الرسائل النبوية: من خصائصها:

تبدأ بالبسملة، ثم يأتي بعدها تعابير مثل : من محمد رسول الله أو من خليفة رسول الله، أو من أمير المؤمنين، وقد تبدأ باسم الرسول مثل " هذا كتاب من محمد رسول الله".

[1] المرجع نفسه ص 20.

[2] ينظر: فيصل حسين طحيمر العلي: كتاب فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب و ابن العميد، ص20.

[3] المرجع نفسه: ص20.

[4] علة ثليجة: بلاغة الخطاب الترسلي، ص42.

يأتي بعد السلام التحميدات مثل " فإني أحمد الله" أو " أحمد إليك الله"" الذي لا اله إلا هو" أو يكتفي في بعبارة أما بعد .

الابتعاد عن المقدمات المطولة، واستخدام الألفاظ السهلة[1]

يقول القلقشندي في كتابه صبح الأعشى: "اعلم أن هذا الديوان – ديوان الرسائل- أول ديوان وضع في الإسلام، وذلك أن النبي صلى الله كان يكاتب أمراء وأصحاب سراياه من الصحابة ويكاتبونه، وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام وبعث إليهم رسله بكتبه...، وهذه المكتوبات كلها متعلقها ديوان الإنشاء"[2].

وبقيام الدولة الإسلامية وإنشاء ديوان الرسائل، فقد كان الخليفة في أول الأمر هو الذي يملي الرسائل على كتابه وبمرور الزمن أخذ الكتاب يستقلون بكتابتها ثم تعرض على الخلفاء، وكان أسلوبها آنذاك تتغلب عليه البساطة والوضوح، ويخلو من التأنق والتصنع، لكنه شهد نقله كبيرة في عهد هشام بن عبد الملك عندما تولى مولاه سالم رئاسة ديوان الرسائل في عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية الذي تولى أمر ديوانه عبد الحميد بن يحيى الكاتب، وقد عرف بالبراعة في فن الترسل حتى غدت مكاتباته مضرب المثل في الجودة والإتقان حتى قيل "[3]

ثالثا: في العصر الأموي:

بعد أن تحدثنا عن الكتابة في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي وما ظهر فيها من ترسل و ما اتسم به من خصائص و مميزات نتطرق إلى العصر الأموي الذي اتسعت فيه الفتوحات،و تحوّل فيها الحكم من الخلافة إلى

[1] فيصل حسين طحيمر العلي: فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب و ابن العميد، ص21.
[2] ينظر: فيصل حسين طحيمر العلي: كتاب فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب و ابن العميد، ص21.
[3] علة ثليجة: بلاغة الخطاب الترسلي، ص42.

الملكية الوراثية، وتفرق الولاة والعمال في الأقطار مم فاض معه فعل الترسل وجعل العصر الأموي يحتل مركز الصدارة في تاريخ الترسل العربي.

"لقد رفع الراية الأموية سيدنا معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه– على ربوع دمشق متخذا منها عاصمة الخلافة الجديدة، واتسعت رقعة الدولة شرقا وغربا، ونشطت الكتابة نشاطا سريعا ملحوظا، وعاش الناس حياة ترفه وتحضر، وهذا التحضر يتبعه تعقيد في الحياة وتشابك في المصالح وحاجة إلى التفاهم والتواصل وهذا ما يطور كتابة الرسائل وينميها".[1]

"وبعد أن كانت الرسائل يغلب عليها الإملاء من الخليفة، والنسخ من الكتاب، أخذ الكاتب في هذا العصر يستقل وتظهر شخصيته، ويتطور الأمر أواخر العصر الأموي، حتى نرى قبيصة بن ذؤيب يفحص الكتب الواردة على عبد الملك بن مروان، ويقرؤها قبل عرضها على الخليفة".[2]

"وتتعدد المكاتبات وتكثر الدواوين، وينشئ معاوية– رضي الله عنده– دواوين هما ديوان الرسائل وديوان الخاتم: فديوان الرسائل كانت تصدر عنه رسائل تفيض بيانا وينضرها جمال الأسلوب وسحر البلاغة ، وديوان الخاتم: ومهمته أن يرسل إليه ما يكون للخليفة من توقيع ليصدر منه مختوما لا يدري حامله ما فيه، ولا يستطيع أن يغيره[3]»، «وذكر أن عبيد الله بن أوس كان يكتب لمعاوية على ديوان الرسائل، وكتب عليه أيضا كل من يحي بن يعمر، وروح بن زنباع وهم من العرب الخلص، وهذا يدعم ديوان الرسائل الذي انتشر في الولايات الإسلامية المختلفة، كان عربي النشأة"[4].

[1] فيصل حسين طحيمر العلي: فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب و ابن العميد، ص 38.
[2] فيصل حسين طحيمر العلي: كتاب فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب و ابن العميد، ص38.
[3] أمل دعواق سعد: فن المراسلة عن مي زيادة، ص 295-296.
[4] المرجع نفسه، ص39.

وأنه كما قال نصار حسين:" نشأ نشأة عربية خاصة، ولكنه أثناء سيره أمدته روافد فارسية ويونانية"[1] حيث "نرى الموالي من الأعاجم ينافسون العرب في هذا الميدان كسالم مولى هشام بن عبد الملك وعبد الحميد الكاتب"[2].

ويهتم الناس بالكتابة ويحاول كل منهم إظهار قدراته البيانية والبلاغية، فتظهر طبقة من الكتاب المحترفين، الذين أخذوا يعتبرون كتابة الرسائل مصاحبة لأمور بلاغية فنية، تختلف من كاتب إلى كاتب آخر، ومن مترسل إلى آخر ومن عصر إلى آخر ، ومن بيئة إلى أخرى، وبعد أن كانت الرسالة تملى من الخليفة أصبح الكاتب هو من يكتبها ويعرضها على الخليفة، مما أدى إلى تغيير في صيغة الرسالة من ضمير المتكلم أنا إلى ضمير الغائب، فأصبحت على الشكل التالي " بلغ أمير المؤمنين كتابك..."[3] .

وفي عهد عبد الملك بن مروان عربت الدواوين الموجودة في فارس والشام، وفي عهد الوليد بن عبد الملك عربت دواوين مصر فامتلأت بالعرب وبمن أجادوا العربية وفي عهد هشام بن عبد الملك اشتهر هذا الديوان بالافتنان الذي يرجع إلى سالم بن عبد الله مولى هشام، والذي تتلمذ على يديه أبرع الكتاب وأعظمهم أثرا وأبعدهم صيتا عبد الحميد بن يحيى الكاتب، الذي تولى الكتابة لمروان بن محمد إلى أن أفلت شمس بني مروان وأشرقت شمس بني العباس[4] .

[1] حسين نصار : نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص67-69.
[2] أحمد الحوفي: النثر الفني عربي النشأة، مجلة المورد، ص30.
[3] فيصل حسين طحيمر العلي: فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب و ابن العميد، ص39.
[4] المرجع نفسه، ص40.

ومن مميزات الإنشاء في هذا العصر"إثارة الخيال للسامع باستخدام المجازات اللغوية، مع الإكثار من الألفاظ القوية البالغة التأثير ودقة التعبير وصفائه وخلوصه من شوب اللكنة، والعجمة واللحن إلا قليلا، ونراه أيضا يترك الالتزام بالسجع ويأخذ بأساليب القرآن الكريم والحديث الشريف لما فيهما من بلاغة وبيان"[1].

والكتابة الفنية في هذا العصر مرت بمرحلتين :

"المرحلة الأولى: تمتد من قيام الدولة الأموية عام 40 هـــ إلى عهد الوليد بن عبد الملك، تميزت الكتابة فيها بالسهولة والوضوح والإيجاز وقلة التكلف والارتجال.

المرحلة الثانية: من أيام الوليد بن عبد الملك إلى نهاية الدولة الأموية، هنا تأنقت الكتابة وتميزت بالصنعة والإطناب وإشراق البيان وممن برعوا في هذا العصر وحمل سيف الترسل عبد الحميد الكاتب محققا مكانة لم يصل إليها غيره

في فن الترسل عبر تاريخ الأدب العربي من الجاهلية حتى عصره".[2]

ويرى شوقي ضيف أن "الرسائل بعد منتصف القرن الأول للهجرة تميزت بالجودة والجمال الفني، والتحبير والتنميق، والتنويع في المعاني، مع صور مختلفة من الإطناب"[3]. و في أثناء ذلك بدأت تتميز بعض الكتابات في طرائقها و لغتها و أسلوبها.

" وفي أوائل القرن الثاني للهجرة ينهض سالم مولى هشام بن عبد الملك بكتابة الرسائل نهضة واسعة، حتى عد أحد البلغاء العشرة في تاريخ العرب وأدبهم، والذي تميز أسلوبه بالازدواج والترادف الصوتي، وكان يتكئ على

[1] المرجع نفسه، ص40.
[2] فيصل حسين طحيمر العلي: فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب و ابن العميد، ص41.
[3] شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص106-107.

الحال اتكاءا شديدا، ربما لتأثره باليونانية، والذي تخرج على يديه عبد الحميد الكاتب أنبه كتاب العصر وأشهرهم"[1]

رابعا: في العصر العباسي:

"كان العصر العباسي الأول عصرا خطيراً حقاً في تطور النثر العربي، إذ تحولت إليه الثقافات اليونانية والفارسية والهندية وكل معارف الشعوب التي أظلتها الدولة العباسية، بحيث تدخل جميع ذلك في تركيبه وائتلف مع نسيجه، وتولد منه جديد تلو جديد"[2] فانكب بعض الكتاب على الإنشاء انكبابا بدعم من الخلفاء العباسيين الذين شجعوا فعل الكتابة في أي اتجاه كان.

"وعلى سنن من طبائع الحياة أخذ النثر يتطور تطوراً واسعاً، إذ حمل خلاصة هذه المدنية وملئت أوانيه بشرابها الجديد الذي اختلفت ألوانه باختلاف ينابيعه الكثيرة، وقد أظهر النثر العربي مرونة واسعة إذ استطاع أن يحتوى كل هذه الينابيع غدا كمجرى نهر كبير ترفده جداول من ثقافات متنوعة تنوعا لا يكاد يعد أو يحصى "[3].

" وكان ذلك إيذانا بتعدد شعب النثر العربي وفروعه، فقد أصبح فيه النثر العلمي والنثر الفلسفي، وأصبح فيه أيضا النثر التاريخي، على شاكلة ما كان عند الأمم القديمة.

وحتى النثر الأدبي الخالص أخذ يتأثر بملكات اللغات الأجنبية وخاصة اللغة الفارسية على نحو ما هو معروف عن ابن المقفع وترجمته لقصص كليلة ودمنة مما كان له أعمق الأثر في الرسائل الديوانية، وفي نشوء الرسائل

[1] المصدر نفسه، ص110.

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ج3، ص441.

[3] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ج3 ص 441

الأدبية التي تعنى بالكتابة في موضوع محدود، مما نسميه اليوم باسم المقالات، إذ يعالج الكاتب موضوعاً في طائفة من الصحف"[1]

تعددت الدواوين وتنوعت في العصر العباسي، فمنها "دواوين للخراج ودواوين للنفقات ودواوين للحروب ودواوين للرسائل ودواوين للخاتم ودواوين لشرقي الدولة ودواوين لغربيها، ولكل ولاية ديوان، وفوق هذه الدواوين ما يسمى ديوان الزمام الذي ينظر في ضبط كل ديوان على حدة. و بجانب هذه الدواوين العامة في بغداد دواوين في الولايات للخراج والرسائل ودواوين أخرى لأولياء العهد وللأمراء والوزراء وكبار القواد، ومن لم يتخذ من هؤلاء ديوانا كبيراً كان له كاتب يكتب عنه وينظر في تدبير أمواله ونفقاته وضياعه، وحتى نساء الخلفاء كن يتخذن الكتاب، وكذلك كان يتخذهم بعض القضاة والعلماء للكتابة"[2].

و يمكن أن نتصوّر كم لهذه الدواوين كتّاب و مساعدين لهم، و كم من رسالة تخرج من هذه الأماكن الرسمية، فكل ذلك إذن يدل على أن الكتابة "نشطت في هذا العصر نشاطاً واسعاً، فقد توفر عليها مئات من أصحاب الأقلام، وكان الكاتب في دواوين الدولة إذا أظهر نبوغا ارتقى سريعا وما زال يرتقي حتى يصبح رئيسا لمجموعة من الدواوين، وقد يصبح وزيرا للخليفة يسوس الدولة ويدير أمورها وشؤونها مثل الحسن بن البحباح البلخي الذي كتب للمهدي والهادي والبرامكة وقد ولى مصر، ومثل الحسن بن رجاء كاتب المأمون الذي ولى فارس، وكثير من الولاة والقواد.وعلى هذا النحو كانت الكتابة في هذا العصر الجسر الذي يصل الشخص إلى أرفع المناصب، وكان من يتقنها من الوزراء والقواد والولاة يتلقى الإكبار"[3].

[1] المصدر نفسه، ص442.

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص445.

[3] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص550-551.

فالكتابة في ذلك العصر كانت ترفع صاحبها و أهلها إلى أرفع المناصب الحكومية و يتلقى الإجلال و الإكبار من العامة و الخاصة، غير أن الوصول إلى هذه المكانة "لم يكن هينا، فقد كان لا بد له من إحسان صناعة الكتابة، وهو ما جعله يتوفر على مادتها اللغوية والأسلوبية، حتى يتقنها الإتقان المنشود من حيث الوضوح لأنه يكتب إلى الرعية ولا بد للرعية أن تفهم عنه، والجمال الفني لأنه يكتب عن الخلفاء والوزراء والولاة والقواد، ولا بد أن يروعهم ببيانه وبلاغته، وممن شهدوا وتوقفوا وشيدوا لكتباتهم الجاحظ الذي قال : إنهم لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة وعلى المخارج السهلة والديباجة الكريمة وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد وعلى كل كلام له ماء ورونق وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم، وفتحت للسان باب البلاغة ودلت الأقلام على مدافن الألفاظ وأشارت إلى حسان المعاني"[1] .

لقد أشار الكثير من المتتبعين لهذه الصناعة أن صناع الإنشاء " لابد لهم بجانب القدرة البلاغية أن يتقنوا طائفة من المعارف كعلوم اللسان وعلم الفقه والأخير ضروريا لهم لأنهم كانوا يكتبون في شؤون الخراج وعلم الحساب وعلم الكمياء والطب والنجوم وغيرها من العلوم"[2]

" وكانت كثرة الدول والإمارات الفارسية في العصر عاملا مهما في كثرة الرسائل الديوانية، فقد كان لكل دولة ولكل إمارة ديوان رسائل تصدره كتاب نابغة برعوا وتأنقوا في كتاباتهم فلم تخل من السجع والجناس والطباق، مما دفعهم إلى التنافس للتثقف، والتشرب من ألوان الثقافات المختلفة من لغوية وغير لغوية، وكل ذلك دفع إلى النهوض بالكتابة الديوانية، وخاصة في القرن الرابع والخامس والسادس للهجرة حين كانت العربية لا تزال عالية ولا يزال سلطانها نافذا في الأعمال الرسمية، وبالمثل ظلت في تلك القرون الكتابة الاخوانية

[1] المصدر نفسه ،ص466.

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص466.

مزدهرة فالأدباء يصورون في رسائلهم الشخصية عواطفهم في التهادي والاستمناح والثناء، والذم والتهاني، والعتاب، الاستعطاف، والتعزية، مظهرين في هذا المجال براعة في طرافة التفكير وجمال التعبير"[1].

يؤكد الدكتور علي جمال مهنا«أن الترسل في الصدر العصر العباسي تأثر بأسلوب عبد الحميد الذي يغلب عليه التبسط وتوازن العبارات، ومنذ القرن الرابع الهجري قويت شوكة السجع حتى تغلب على سواه من أساليب الكتابة و لم يلبث بعد ابن العميد والصاحب بن عباد وبديع الزمان أن أصبح النمط شائعا وصار المترسلون لا هم لهم إلا التأنق بأنواع البديع"[2].

ويرى جرجي زيدان " أن لكل أصل إماما في إنشاء الترسل، كعبد الحميد وابن المقفع في العصر العباسي الأول، والجاحظ في العصر الثاني وابن العميد في العصر الثالث، ويؤكد ما يراه غيره أن الرخاء يدعو إلى التأنق فتطرق ذلك إلى إنشائهم فصاروا يتأنقون، فيه كما يتأنقون بلباسهم وطعامهم وأثاثهم، فأطالوا العبارة وتوسعوا في التنميق"[3].

خامسا: في الأندلس ودول المغرب الإسلامي:

اهتم خلفاء بني أمية بهذا الفن وقربوا إليهم الكتاب والنساخين، وأنشأوا دواوين خاصة بالرسائل، لها نظم و قوانين محددة، وقد تنافس الكثير من علماء و أدباء بني أمية في التفنن في الكتابة و الترسل"و كان طبيعيا أن يعنى عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية في الأندلس بديوان الرسائل، كما عُني به خلفاء أسرته الأمويون في دمشق، وخاصة جده هشام بن عبد الملك. وقد أسند الكتابة في ديوانه بقرطبة إلى أمية بن يزيد بن أبي حوثرة، وأسندها ابنه الأمير هشام إلى محمد بن أمية المذكور، وتولى مقاليد الحكم بعده ابنه الحكم الرضى

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات والأندلس، ص394-397.
[2] مهنا علي جميل: الأدب في ظل الخلافة العباسية، ط1، 1981م، ص 224.
[3] جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج2، مطبعة الهلال، الرياض، ص265-269.

وأسندها إلى حجاج المغيلي، وفطيس بن سليمان وفي كتاب الحلة السيراء أن راتبه كان خمسمائة دينار. وخلفه ابنه عبد الرحمن الأوسط مؤسس الحضارة الأندلسية ونظمها الإدارية التي استقرت منذ عهده، إذ اتخذ مجلس وزراء وقسم شؤون الدولة في القضاء والمال والحرب وغير ذلك إلى خطط واقتضى ذلك تعدد الكتاب"[1].

"وينتهي عصر الدولة الأموية، وندخل في عصر أمراء الطوائف: عصر التنافس السياسي الحاد بينهم والتنافس الأدبي الحاد بين الأدباء من كتاب وشعراء، ويصبح السجع أشبه بقانون عام في جميع الرسائل الديوانية الصادرة عن هؤلاء الأمراء إذ التمسه جميع كتابهم في كل ما يكتبونه عنهم، التمسه أحمد بن عباس كاتب زهير أمير المرية على البحر المتوسط المقتول معه سنة 429 هـ والتمسه محمد بن أحمد البزلباني كاتب حبوس صاحب غرناطة كما التمسه أبو عامر التاكرني كاتب أمراء بلنسية حتى سنة 417هـ، ثم المنصور بن أبي عامر الأصغر"[2].

" وتخلف دولة الموحدين في الأندلس عن دولة المرابطين ويذكر صاحب المعجب كتاب حكامها، ويبدأ بكتاب مؤسسها عبد المؤمن وهم أبو جعفر أحمد بن عطية وهو مراكشي وأبو القاسم القالمي، من بجابة وعياش بن عبد الملك بن عياش القرطبي، وفي مجموع رسائل موحدية المطبوع بالرباط غير رسالة ديوانية للأولين، وكتب ليوسف بن عبد المؤمن عياش،والقالمي إلى أن توفى،فخلفه ابن محشرة وهو من بجابة مثله وكتب ليعقوب بن يوسف ابن محشرة كاتب أبيه، وأبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عياش التجيبي المربي والمربى المولود سنة 550هـ استكتبه يعقوب سنة 586هـ فنال دنيا عريضة، وظل على ديوان الإنشاء لابنه الناصر ثم لابن ابنه

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات والأندلس، ج8، دار المعارف، مصر، ص392.
[2] المصدر نفسه، ص394.

المستنصر حتى وفاته سنة 618هـ وفي مجموع رسائل موحدية ثلاث رسائل له اثنان منها عن الناصر والثالثة عن يعقوب، وهي وصف غزوته الثانية للنصارى سنة 592 هـ بعد سحقهم في موقعة الكرك"[1].

لقد تميز كل عصر من العصور الإسلامية بكتابه و طرائقهم في الإنشاء، كما اختلفت المواضيع التي كانوا يكتبون فيها، حسب الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الثقافية التي كانت تسود البلاد آنذاك، و نتيجة لذلك كانت هذه الرسائل تحمل في طياتها وظائف سياسية و ثقافية في مواجهة التحديات الداخلية و الخارجية.

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات والأندلس، ج8،ص396.

الفصل الثاني:

الخصائص المضمونية والأسلوبية لفن الترسل في التراث العربي

المبحث الأول: أصول ومصادر الترسل في الثقافة العربية القديمة

توطئة:

تكتسب الرسالة خصائصها من فنها الأدبي ألا وهو النثر، وتنفرد بخصائص تفرض طبيعتها وتميزها عن غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى، وفي هذا الفصل سنتطرق إلى دراسة أهم مظاهر استلهام التراث الأدبي والثقافة العربية الإسلامية في المكاتبات الأدبية.

لعل أهم هذه المظاهر:

1-تضمين الشعر في الرسالة:

"لقد شغف أكثر المترسلين، وأعلام الرسائل بتضمين رسائلهم بالشعر القديم أو المحدث، أو الاستشهاد بشعر الشعراء المشهورين مع النص عليه، كما عملوا في أحيان كثيرة إلى حل معانيه في ترسلهم ومكاتباتهم، لقوة أو عمق دلالته، ورصانة أو متانة تراكيبه، وحلاوة موسيقاه ونغمه، فضلا عن أن أكثر أولئك الكتاب كانوا ممن جمع بين صناعتي الشعر والنشر، ومن هنا فقد أكثروا من توشيح رسائلهم بتلك الشفرات الشعرية، وبالغوا في ترصيع مكاتباتهم بتلك الأشعار، وكأنها حلية أضفوها على منثورهم لتزدان بها فصول رسائلهم، كسائر الحلي البديعية، والأصباغ البلاغية التي دأبوا على تجميل مكاتباتهم الأدبية والديوانية بها"[1].

وفي هذا المعنى يرى أبو بكر الخوارزمي في الجمع بين صناعتي الشعر والكتابة أن الكتابة بصفة عامة "آلة عجيبة، وهي من الشاعر أعجب، كما أن الشعر صناعة غريبة، وهي من الكاتب أغرب..."[2]

فالشعر يزيد الكتابة النثرية رونقا وجمالا، بالإضافة إلى وظيفته الحجاجية و الإقناعية، و في الرسالة تتعدد وظائفه تبعا لنوعها و غرضها.

---

[1] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع هجري، -العراق والمشرق الإسلامي- ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م، ص190-191

[2] الخوارزمي: رسائل الخوارزمي، تق: الشيخ نسيب وهيبة الخازن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان،1970، ص54

فالمكاتبون وجدوا في الشعر ضالتهم من خلال حل عقد الشعر لما فيه من غنى من معاني وتعابير، ولما له من أثر في اتساع آفاق الكتابة"فالرسالة تتميز بالمرونة الفنية والأسلوبية حيث استمدت خصائصها من الشعر، فأصبحت شعرا منثورا، وذلك لكونها قادرة على خلق شعريتها الخاصة والمنسجمة مع جنسها الأدبي، إذ منه تستمد الرسالة خصائصها لتشييد شعريتها والسمو بها"[1].

فالرسالة الإخوانية والأدبية تستمد شعريتها من بلاغة المعاني والمباني الشعرية، التي تشيّد من خلالها منظومتها المضمونية و الأسلوبية.

انتشرت ظاهرة التضمين كثيرا في رسائل أعلام الكتاب في التراث العربي،"ولعل في طليعة أولئك الكتاب: أبا إسحاق الصابي، أبا بكر الخوارزمي والصاحب بن عباد، بديع الزمان الهمذاني، وسواهم من جهابذة الكتاب المشهورين.

لقد اشتهر هؤلاء الكتاب بسخاء حافظتهم للشعر القديم وغيره، ومن هنا كانت هذه الظاهرة معلما واضحا يؤكد سعة ثقافة أولئك الكتاب، وحذقهم مفردات التراث العربي والإسلامي، فضلا عن غزارة ثروتهم اللغوية، ولعل هذا ما رسخ هذه الظاهرة في صلب ترسلهم ومكاتباتهم، حتى غدت دعامة أساسية ومهمة في البناء الفني للرسائل الأدبية في هذا القرن"[2].

و يمكن أن نذكر على سبيل المثال:"أبو بكر الخورازمي مثلا – الذي عرف بكثرة تضمينه للشعر في رسائله – كان راوية للشعر – كما وصفه بعض معاصريه أمير المنطق الحر، وأنه كان أدهم في أدبه، أي أنه يجمع بين القديم والجديد.

وقد أشار أبو منصور الثعالبي إلى لمع من تضمينات الخوارزمي ووصفها بأنها: كانت رشيقة، وطريقة أنيقة، يضعها في مواضعها، ويوقعها أحسن مواقعها، ويفصح بها عن اتساع روايته، وكثرة محفوظاته"[3].

[1] علة ثليجة: بلاغة الخطاب الترسلي، ص 15.

[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع هجري، –العراق والمشرق الإسلامي، ص191.

[3] المرجع نفسه: ص191.

تعددت أساليب الكتاب في تضمين الشعر في ترسلهم ومكاتباتهم، ويمكن رصد أهم تلك الأساليب فيما يأتي:

"أ- تضمين المنظوم في مطالع رسالتهم أو في خواتمها، أو في ثنايا تلك الرسائل، دون التنويه بذلك، أو دون النص عليه أو ذكر اسم الشاعر مما يخلق قوة في الدلالة .

وممن اتبع هذا النوع من الأساليب أبو بكر الخوارزمي: في رسالة له إلى رئيس بهراة يعزيه بابن أخته وابنته : "...وفقد الشباب الطري أكثر جزءا وكسر العود الرطب أشد وجعا.

إن الفجيعة بالرياض نواضراً لأشد منها بالرياض ذوابلا[1]

و نظير ذلك أيضا ما كتبه إلى نائب الوزير ابن عباد بأصفهان : "...وليت شعري ما الذي منعه عن صلة لا تضره وتنفعني : و عن تواضع لا يضعه ويرفعني

ولربما بخل الجواد وما به بخل، ولكن سوء حظ الطالب

وتظهر هذه الظاهرة أيضا في رسائل بديع الزمان الهمذاني فيما ورد في رسالته إلى الخوازرمي: " أنا بقرب الأستاذ -أدام الله بقاءه-**كما طرب النشوان مالت به الخمر** ومن الارتياح للقائه: **كما انتفض العصفور بلله القطر**، ومن الامتزاج بولائه: **كما التقت الصهباء والبارد العذب**، ومن الابتهاج لمزاره: **كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب**، فكيف نشاط الأستاذ سيدي لصديق طرأ إليه ما بين قصبتي العراق وخراسان، بل عتبتي نيسابور وجرجان ؟وكيف اهتزازه لضيف: رث الشمائل، مخلق الأثواب، بكرت عليه مغيرة الأعراب"[2].

و كما رأينا سابقا أن بديع الزمان الهمذاني قد اختار بعض اللطائف الشعرية، و هي كلها أجزاء و أشطر اقتطفها الكاتب لتزيين رسالته و تصوير حاله التي كان عليها بقرب الأستاذ.

[1] البيت لأبي تمام

[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع هجري، العراق والمشرق الإسلامي، ص192-195.

"وذكر أبو هلال العسكري (ت 395هـ) أن أحمد بن يوسف بعث في النيروز إلى المأمون بهدية وكتب فيها:

هذا يوم جرت فيه العادة بألطاف السادة، وقد قلت :

على العبد حق فهو لابد فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله"[1].

" ب- تضمين الشعر القديم أو المحدث في فصول الرسائل، مع النص علىذكر الشاعر أو التصريح بهذا التضمين قبل إيراده في الرسالة.

كثر هذا اللون من التضمين في رسائل الخوارزمي، من ذلك مثلا ماورد في رسالة له إلى الحاجب، وقد نكبه الوزير ابن عباد:" ... وكم تقبحون في النعم، أو تحسون في النقم، وكم تجهلون ما عرفه الحطيئة مع خبث مذهبه، ولؤم مركبه، حيث يقول:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

ولقد ضمن الهمذاني شعر القدامى الجاهليين والمخضرمين فضلا عن الشعراء المحدثين في رسائله وبخاصة شعر أبي الطيب المتنبي، ونذكر ما ورد في فصل من رسالة له إذ يقول: "... إني لأرحم عقل طرفةإذ قال:

وليت لنا مكان الملك عمرو رغوثا حول قبتنا تخور"[2]

إذن نجد في هذه النماذج ذكر صريح لشعراء أعجب بهم هؤلاء المكاتبون، وفي ذلك اهتمام بالشاعر ذاته و بشعره أيضا.

"ومن النماذج التي ذكر اسم الشاعر دون تضمين شعره ما ورد في رقعة طريفة لبديع الزمان الهمذاني إلى مستميح عاوده مرارا، إذ قال :" عافاك الله مثل الإنسان في الإحسان، مثل الأشجار في الأثمار. ... ولي مع الأدب نادرة جهدت في هذه الأيام بالطباخ، أن يطبخ من جيمية الشماخ، لونا فلم يفعل،

[1] محمد خير شيخ موسى: النثر الفني في النقد العربي (فن الكتابة)، ط1، مكتبة ابن كثير، الكويت، 1997م، ص203.
[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع هجري، العراق والمشرق الإسلامي، ص193-194

وبالقصاب، أن يسمع أدب الكتاب فلم يقبل، واحتيج في البيت، إلى شيء من الزيت، فأنشدت شيئاً من شعر الكميت، ألفا ومائتي بيت، فلم يغن ولو وقعت أرجوزة العجاج، في توابل السكباج، ما عدمتها عندي ولكن ليست تقع، فما أصنع؟ فإن كنت تحسب اختلافك إليّ إفضالا علي، فراحتك راحتي، و راحتي أن لا تطرق ساحتي "[1].

وفي هذه الأمثلة حينما يذكر الكاتب بعض الشعراء الجاهليين أو المخضرمين أو غيرهم، فهو يتناص تماما مع أحداث و قصص وقعت لهؤلاء الشعراء المشهورين في التراث العربي.

" ج- حل المنظوم وتضمينه في الرسائل الأدبية:

ومن ألوان التضمين الأخرى التي ألم بها المترسلون، وكتاب الرسائل كثيرا أيضا: نثر النظم، أو حل العقد، كما أطلق عليه بعض النقاد ومؤرخي الأدب القدماء، وإيراده كما هو، أو حله في الرسالة مع تغيير طفيف في ثنايا ترسلهم ومكاتباتهم الأدبية.

فنجد هذا فيما نقله الثعالبي، الحقيقة إذ قال: (من الطويل).

ألا إن حل الشعر زينة كاتب ولكن منهم من يحل فيعقد

ويشير الثعالبي في موضع آخر إلى إعجاب الصاحب بن عباد أيضا بطريقة شعراء الشام المثلى التي تقوم على الجزالة والعذوبة، والفصاحة والسلاسة وكسره دفترا جمع فيه غرر أشعارهم، ثم يقول: ".... وصار ما جمعه – أي الصاحب – فيه على طرف لسانه، وفي سن قلمه، فطورا يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته، وتارة يحله أو يورده كما هو في رسائله "[2].

"ومن نماذج ما ألم به الصاحب بن عباد، وحله في رسائله من غرر نظم أبي الطيب المتنبي، ما ورد له في فصل من رسالة في وصف قلعة افتتحها الأمير عضد الدولة البويهي، إذ قال: "...فلما أتاح الله للدنيا ابن جدها، وأنا بأسها ونجدها، جهلوا بون ما بين البحور والأنهار، وظنوا الأقدار تأتيهم على مقدار، فما

[1] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع هجري، –العراق والمشرق الإسلامي، ص194-195.
[2] المرجع نفسه، ص196

لبثوا أن رأوا معقلهم الحصين، ومثواهم القديم، نهزة الحوادث، وفرصة البوائق، ومجر العوالي ومجرى السوابق".

وإنما ألم – الصاحب – بألفاظ بيتين لأبي الطيب أحدهما: (من الكامل)

حتى أتى الدنيا ابن بجدتها فشكا إليه السهل والجبل"[1]

"عمد الكتاب على تضمين الرسائل أطايب الشعر، يختارونه لقوة دلالته ومتانة تراكيبه وحلاوة نغمته، فكأنها حلية تجمل النصوص النثرية، فمنهم من يبدأ رسائله به ومنهم من يختتم ومنهم من اعتمد على نثر المنظوم ونظم المنثور، والنماذج من ذلك غريزة إلا أننا نكتفي بهذا القدر منها"[2].

2-الاقتباس من القرآن الكريم:

نزل القرآن الكريم بلغة العرب ففقهوه أصدق فهم، فلمس أفئدة المؤمنين وحرك قلوب الكافرين لما فيه من بلاغة وفصاحة.

-" تبتدئ سور القرآن الكريم بالبسملة، وهي سمة إسلامية تخيرها الكتاب فاتحة رسائلهم ومؤلفاتهم، فللرسائل والمكاتبات آداب وقواعد وأصول تختلف باختلاف عادات وتقاليد الشعوب ومظاهر العيش، فكانت العرب قبل الإسلام تكتب باسمك اللهم، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يكتبها كذلك فلما نزلت عليه﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [3] كتب في أوائل كتابه بسم الله، ثم نزلت عليه﴿ **قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن** ﴾ سورة الإسراء[4]فكتب بسم الله الرحمن، ثم نزلت ﴿ **إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾[5] فكتب بسم الله الرحمن الرحيم».[6]

---

[1] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع هجري، -العراق والمشرق الإسلامي، ص196، ص197.

[2] زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع هجري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ص106-107.

[3] سورة هود الآية41

[4] سورة الإسراء الآية 110

[5] سورة النمل الآية30.

[6] محمد خير شيخ موسى: النثر الفني في النقد العربي (فن الكتابة)، ص90.

كثر الاقتباس من آي القرآن المجيد والحديث النبوي، والإشارة إلى قصص الأنبياء والأمم القديمة التي ذكرها القرآن للعبرة والاتعاظ.

"لقد برع أكثر كتاب الرسائل الأدبية في هذا القرن في توظيف النص القرآني في رسائلهم، إذ كانوا على صلة وثيقة بالنص القرآني، ولذلك فقد أكثروا في مكاتباتهم من الاقتباس من فيضه العذب، وحرصوا كثيرا على استمداد أفكارهم وصورهم من وحيه، ولقد أدرك جهابذة الكتاب ما يحمله النص القرآني من طاقات إبداعية معجزة، وخصائص فنية عديدة ترقى إلى أعلى مصاف الإبداع والإعجاز،فضلا عما يحويه من معاني سامية، وقيم نبيلة ومفاهيم عظيمة تتصل بالإنسان والحياة والوجود والكون، وما إلى ذلك"[1].

-أساليب الكتّاب في توظيف الآيات القرآنية في رسائلهم :

أ-الاقتباس المباشر دون النص على الآية صراحة:

"كان كتّاب الرسائل يقتبسون الآية من القرآن دون إضفاء أي تحوير أو حذف، وكان الكاتب في الغالب لا ينص على الآية التي يوردها في رسالته، وإنما يحلها في تضاعيف كلامه، من ذلك مثلا ما ورد في فصل من رسالة لبديع الزمان الهمذاني، إذ يقول:(... **فلهم حولها تخبيط، والله من ورائهم محيط**)، فقد اقتبس الكاتب الآية 30 من سورة البروج دون أن ينص على هذا الاقتباس"[2].

ومثال ذلك أيضا ما ورد في رسالة لأبي بكر الخوارزمي إلى الصاحب أبي إسحاق، لما نكبه الوزير الصاحب :(... فلما جازيت النعمة بالكفران ونسيت هل جزاء الإحسان إلا الإحسان نظرت الأيام إليك شزرا، وأبدلتك باليسر عسرا ...)

فقد اقتبس الخوارزمي الآية 60من سورة الرحمن وضمها صلب رسالته دون أن ينص عليها.

[1] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية، ص199.

[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية، ص199-209.

ب–الاقتباس المباشر مع النص على الآية:

وفي أحيان أخرى كان الكاتب يقتبس الآية دون تحوير أو تغيير، مع النص عليها، كأن يقول (قال تعالى)، أو غير ذلك من مثل ما ورد في رسائل بديع الزمان الهمذاني، إذ يقول:".... إنه ليس في أبواب الذب، أضعف من باب السب، وإذا تلوت قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا ﴾[1]، علمت أن سلاح خصمك أقوى"[2]

ج–الاقتباس غير المباشر:

كان كتاب الرسائل يقتبسون النص القرآني مع إجراء بعض التحوير فيه أو الحذف منه، وقد يقتبس الكاتب بعض الآية دون تحوير، وهذا التغيير قد يكون كثيرا أو قليلا.

ومثال ذلك ما ورد في فصل لرسالة للهمذاني، إذ قال :" يا هؤلاء تكابروا الله في بلاده، ولا ترادوه في مراده، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ..."[3] فاقتبس الآية 128من سورة الأعراف.

د–اقتباس لمحة أو إشارة أو كلمة بارزة من آيات القرآن الكريم:

وقد يكتفي منشئ الرسالة باقتباس لمحة أو إشارة أو كلمة بارزة في النص توحي للقارئ، أو المتلقي اللبيب الفطن بمضمون الآية القرآنية المقتبسة وهذا اللون من الاقتباس نادر، و لم يرد كثيرا في رسائل الكتاب، ومن ذلك مثلا ما ورد في رسالة للصاحب بن عباد إذ يقول: "... ورفده بصائب الخواطر، وهيأ له أجلى الأشباه والنظائر، و لم يبهم سبيل الرشاد دونه، وجعله بلطفه من الذين (يستنبطونه)."[4]

فقد أشار هنا إلى الآية الكريمة 83من سورة النساء وهي قوله تعالى:«**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** »سورة الأنعام.

---

[1] سورة الأنعام الأية108

[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية، ص199-209.

[3] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية، ص199-209.

[4] المرجع نفسه: ص 208

ومما سبق نستخلص أن للقرآن الكريم أثرا بالغا في سمو الكتاب بالرسالة إلى أعلى مراتب الارتقاء، وهذا ما جعلها منافسا لا بأس به للأجناس الأدبية الأخرى، فعند قراءتنا لهذه النماذج أحسسنا مقدار تأثرهم بالقرآن الكريم في لغتهم ومعانيهم، فقد اعتمدوا اقتباسه لما فيه من قوة إيحائية تسمو بمعانيهم وتحفظ لها جمال الإيقاع وعذوبة النغمة، فقد وفق الكتاب في اختيار الآيات المناسبة للغرض المطلوب لكي يستقيم النص بها[1].

3-تضمين الأمثال والحكاية الشعبية:

كان حرص الكتاب شديدا على تضمين الرسائل بعض الأمثال والحكم والحكايات الشعبية، وهذا ما دل على استيعابهم لتراثهم العربي وحفظه واستحضاره والاستشهاد به.

"لقد أكثر كتاب الرسائل من تضمين الأمثال العربية القديمة والحكم البليغة، وإدراجها في رسائلهم، لما لها من قيمة فنية في تزيين النص، وما تضفيه عليه من قوة وجمال، إذ إن تلك الأمثال البليغة الموجزة والأقوال السديدة كانت تتسم دائما بقوة السبك وجماله، ودقة الصنعة وإحكامها ومتانة التراكيب ورصانتها، وتكثيف المعنى وتركيزه وقد أدرك الكتاب وفي مقدمتهم أبو بكر الخوارزمي، وبديع الزمان الهمذاني، والصاحب بن عباد، وغيرهم من الكتاب البلغاء ما تحققه هذه الأمثال والحكم من جمال وقوة أسر، وشدة تأثير، فأكثروا من إيرادها في مكاتباتهم بوصفها حليا فنية سائغة، تتناغم مع ألوان البديع الأخرى التي بالغوا في استخدامها في رسائلهم الأدبية والديوانية"[2].

" ومن ذلك ما ورد في فصل من رسالة لبديع الزمان إذ يقول: يعجبني أن يكون الشيخ عريض اللسان طويله حسن البيان جميله، ولا يعجبني أن يطول لسانه حتى يمس به جبينه، ويضرب به صدره، ويحك به قفاه، فخير الأمور أوساطها..."[3]

[1] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية، ص199-209.
[2] المرجع نفسه: ص 209.
[3] المرجع نفسه،ص210.

ويبدو أن بديع الزمان الهمذاني كان موسوعة أدبية و تراثية، إذ يستحضر في رسائله الاشعار الجاهلية و بعض آيات القرآن الكريم، و كذلك كان مطلعا على حكم و أمثال و آداب العرب.

"وقد كان كتاب الرسائل أحيانا أخرى، يوردون تلك الأمثال، مع تغيير طفيف يجرونه على ما يسوقونه منها، ونذكر ما ورد في فصل من رسالة لأبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبي إلى صديق له قامر على كتب فقمر، وقد ضمن المثل العربي القديم(يداك أوكتا وفوك نفخ)، فأضفى بعض التغيير على صيغةالمثل، إذ كتب في رسالته إليه:

(المحن – أيدك الله – معلقة بين جناحي تقدير، وسوء تدبير، فأما التي تطلع من جانب المقدار، فالمرء فيه معفى عن كلفة الاعتذار، وأما التي اوكتها يده، ونفخها فوهفليس لخرقها أحد يرفوه...) "[1].

"ومن مظاهر استلهام التراث العربي القديم في الرسائل أيضا: توظيف الحكاية الشعبية (الفولكلورية)، وبعض صور أو رموز (الميثولوجيا) العربية القديمة التي انتشرت في المجتمع العربي منذ القدم، وبقيت بعض طقوسها رموزا فنية ترددت أصداؤها في تراث الشعراء الجاهليين.ومن أكثر الأدباء شغفا باستثمار هذا الإرث الحضاري الإنساني، وتوظيفه في أدبه ورسائله بديع الزمان الهمذاني

إذ نلمح ذلك في ما ورد في رقعته، فيقول: "مثلك في السفارة،الفأرة، طفقت تقرض الحديد، فقيل لها، ويحك ! ما تصنعين؟ الناب ودقة رأسه، والحديد وشدة بأسه، فقالت: أشهد، ولكني أجهد وإن تنج من تلك الأسباب فهي الذباب، مقاديرك، لا معاذيرك."

وهكذا نرى بديع الزمان كان يسلك أسلوب الحكاية، ويحرص على تهيئة بعض عناصرها الأساسية كالسرد والحوار وغير ذلك، فيضربها مثلا، وصولا إلى ما يريد إنجازه في رسالته".[2]

[1] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية، ، ص210

[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية ،ص214.

"وقد أورد بعض الكتاب ذكر بعض العادات أو الطقوس القديمة التي كانت ترمز إلى معتقدات شعبية شائعة في المجتمع القديم، من ذلك مثلا: التطير من الغراب، والنفث في العقد، والتفاؤل بالقدحالمعلى – وهو من سهام الميسر عندهم آنذاك – وما إلى ذلك..."[1]

4- الإشارة إلى الأحداث التاريخية والأعلام المشهورة:

ونجد أيضا في "رسائل الكتاب الإلمام بأحداث التاريخ العربي الإسلامي، والوقوف عند وقائعه لاستلهام العظة والعبرة، والتصبر على مواجهة ما يحدق بالمجتمعات الإسلامية من أخطار وكوارث ومحن، كما ألم كتاب الرسائل أيضا بذكر الأعلام التاريخية والشخصيات المهمة، وحرص الأدباء الكتاب على المواءمة بين ذكر تلك الرموز التاريخية في الرسائل وصلب الفكرة التي يتناولها الكتاب، وهذا إن دل فيدل على سعة ثقافة الأدباء الكتاب ونضج تجاربهم في صناعة الترسل، وعمق موروثهم الثقافي"[2].

المبحث الثاني: أغراض الترسل

توطئة:

فن الترسل أسلوب من أساليب النثر، يترجم ما يدور في ذهن الكاتب حيث يظهر مقدرته وموهبته الكتابية وروعة أساليبه البيانية، وتعددت أنواع الرسائل مما أدى إلى تعدد أغراضها .

ولقد تطرقنا سابقا إلى أنواع الرسائل ونحن بصدد ذكر الأغراض، فنقول:

1-الشكوى والاستعطاف والاستمناح:

"الاستعطاف وشكوى الحال من الأغراض المهمة التي تناولتها الرسائل الإخوانية، ويتسم هذا الضرب من المكاتبات غالبا، بحرارة العاطفة، ودفق المشاعر، للتأثير في أحاسيس المكتوب إليه وترسل عادة إلى

[1] المرجع نفسه، ص213-214.

[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية ، ص216.

الأقارب أو الأتراب أو كبار الشخصيات من الرؤساء والوزراء وغيرهم، ولذا فقد كانت تتسم بحسن التأتي، والبراعة في صياغ المعاني، ودقة الأفكار وعمقها" [1].

فالشكوى مظهر من مظاهر الحياة، شاعت نتيجة اضطراب الأحوال السياسية والاجتماعية، وتردي الأوضاع الاقتصادية، وما نجم عن كل ذلك من تباين كبير وواضح في المستوى المعيشي والاجتماعي بين طبقات المجتمع الإسلامي.

ومن هنا فقد كان طبيعيا أن يكثر أدب الشكوى شعرا ونثرا كثرة مفرطة، مما أدى إلى اندفاع كثير من الأدباء لشكوى حظهم العاثر، وتصوير ما ألم بهم من مرارة البؤس والحرمان، وضراوة الإخفاق والفشل في حياتهم القاسية.[2]

2-العتاب واللوم:

"العتاب واحد من أهم الأغراض أو المقاصد التي شاع دورانه أو وروده في المكاتبات الإخوانية -شعرا ونثرا - ولعل مرد ذلك يعود إلى طبيعة العتاب، فالعتاب بوصفه ظاهرة اجتماعية وإنسانية لا ينفصم عن أية علاقة بين بني البشر، فحيث تكون صداقة وإخوان يكون عتاب، يزيل صدأ القلوب، ويعيد نهر الحب إلى مجراه.

وممن أبدعوا في هذا الغرض الكاتب البليغ أبو بكر الخوارزمي -وهو أحد من احترف كتابة الرسائل الإخوانية -في رسالته القيمة التي أظهر فيها شدة امتزاج العتاب في الإخوانيات، فقال:" ... على أني ما جهل منفعة العتاب ولا أنكر مرافقه بين الأحباب، ولا أشك في أنه يطري خلق الود، ويجلو غيرة عهد، ويداوي أدواء القلوب، ويترجم عن خفيات الغيوب، وإنه الأنموذج بين الأولياء والأعداء، والجسر بين المدح والهجاء، والمصلح للعشرة الفاسدة والمغرب بين الديار المتباعدة، جمع الشمل، وجدد الوصل، وصقل ما صدئ من العشرة، وأزال ما وقع من الفترة"[3]

---

[1] المرجع نفسه: ص266.

[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية، ص267.

[3] المرجع نفسه: ص274-275.

وما صدق ما نقله ابن قتيبة الدينوري (ت 276 هـــ) عن أبي الدرداء في قوله: "معاتبة الأخ خير من فقده، ومن لك بأخيك كله" ولعل هذا ما يفسر لنا ما ورد في بعض الأمثال السائرة" ويبقى الود ما بقي العتاب."[1]

حظي غرض العتاب في الرسائل النصيب الأوفر والاهتمام الأكبر فقد استخدم استخداما ذكيا للوصول إلى غايات وأهداف الأدباء، وتختلف حدته باختلاف المرسل إليه.

3-التعازي والتأبين والمواساة:

" يعكس هذا الغرض جانب من جوانب العادات والتقاليد، وشاع تبادله بين الأهل والأقارب، أو الأصدقاء والخلان، تعبيرا عن مشاعر الحزن والأسى، لما ألم بهم من مصاب جلل، يفقد عزيزا من ذويهم أو أترابهم، وتصويرا لكوامن الحرقة والألم التي خلفتها أهوال الفجيعة".[2]

4-التهاني:

"دعت العلاقة الوطيدة بين كثير من الأدباء وأولي الأمر من الرؤساء وأتباعهم إلى أن يشاركهم الأدباء – وهم أمراء الكلام وصناعه – في أفراحهم ومسراتهم، وهي كثيرة ومتنوعة ومن هنا فقد ظهر هذا اللون من الرسائل وتنوعت معانيها وضروبها، فكانت رسائل التهنئة بالأعياد المختلفة، أو التهنئة بالانتصارات أو بتولي المناصب الرفيعة، أو التهنئة بمولود جديد، أو الشفاء من مرض وبيل، وما إلى ذلك[3]"

اتسمت رسائل التهاني بالبلاغة وحسن التنسيق، والدقة في الأداء، فضلا عن العناية الفائقة بمقدماتها وخواتيمها، و في ذلك يقول القلقشندي:" كتب التهاني من الكتب التي تظهر فيها مقادير أفهام الكتاب، ومنازلهم من الصناعة، ومواقعهم من البلاغة"[4].

---

[1] ينظر المرجع نفسه: ص 275

[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية، ص278.

[3] المرجع نفسه: ص 278

[4] القلقشندي: صبح الأعشى، ج9 ،ص 4

"وممن أكثر من رسائل التهاني من الأدباء، وبرع فيها الوزير الصاحب بن عباد، وأبو إسحاق الصابي، والأمير أبو الفضل الميكالي، فضلا عن أبي بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني اللذين يعدان من أكبر كتاب الرسائل الإخوانية"[1].

"فساق العسكري نماذج عديدة من فصول رسائل أبي القاسم الصاحب ابن عباد البليغة في التهاني، لعل من روائعها قوله يهنئ أبا الفتح ابن العميد بالوزارة، ومما ورد فيها قوله : "أنا أهنئ – أطال الله بقاء سيدي – الوزارة بإلقائها إلى فضله مقادتها، وبلوغها في ظله إرادتها وانحيازها إلى ذراه واضحة المجد والفخر وتوحشها من كفايته بغره سائله على وجه الدهر ، وأشكر له حسن أثره عليها، وعطفه حنان الفكر إليها، حتى قرت لديه قرارها وأثقبت بيديه نهارها، بعد أن هفا قلبها إشفاقا من استشراف أيادي النقص لها، وحرج صدرها من تحدث أحلاس الجهل بها...".[2]

5–الاعتذار:

"كثرت رسائل الاعتذار، ولا سيما بين من تخصص بهذا اللون من الرسائل كأبي بكر الخوارزمي والهمذاني وأضرابهما، على ما في الاعتذار من ذلة، غير أنهم أدركوا أنه لا بد منه بين الخلان والأتراب، ولاسيما إذا أحس الأديب المرهف الحسي، بوقع الذنب منه، وصدوره عنه ومفارقته له ، ومن هنا لقد ركب بعض الأدباء مع أترابهم كل صعب وذلول، حفاظا للود، و لم يستنكفوا من الاعتذار أو الخضوع والتذلل لهم، يقينا منهم بأنه ربما استثير العز من تحت الذلة، ورب محبوب في مكروه والمجد شهد يجتني من حنظل، وقد شاع في الأمثال: والمعتذر من الذنب كمن لا ذنب له.

والاعتذار أيضا، من الأغراض الشعرية القديمة " التي عرفها التراث العربي الأدبي، ثم شاع استخدامه في النثر الفني، فقد كتب عبد العزيز بن يوسف في فصل من رسالة اعتذارية له إلى الصاحب ابن عباد يقول: " وقفت على الأبيات التي أتحفني بها سيدي، وتكلفت لجوابها، على ظلع في خاطري لطول

[1] المرجع نفسه، ص5.

[2] القلقشندي: صبح الأعشى، ج9 ص 6.

السفار، واتصال حالي بالحل والترحال ومولاي يأخذ العفو ويرضى بالميسور، ويعذر مستأنفا على التقصير في جواب ما يأتيني من أمثاله، ما دمنافي ملكة الهواجر، وتعب البكر والأصائل "[1].

6 - الاستزارة وتوجيه الدعوة وبث الأشواق:

كانت رسائل الاستزارة والدعوة إلى المواصلة تقترن في الغالب وصف لواعج الشوق، ومسارب الهوى، ومن هنا فقد غلب عليها رقة الألفاظ وجودة المعاني.

"وقد اشتهر أبو القاسم الصاحب بن عباد ، بكثرة تدبيجه لكتب الاستزارة، وتوجيه الدعوات إلى أترابه وخلانه كتب الصاحب إلى أبي العلاء الأسدي، في فصل من رسالة طويلة يتشوق لأيام صحبتهما، ويدعوه إلى المواصلة يقول: " أبي العلاء شيخي أين ذلك الميعاد؟ وأين تلك العهود سقتها العهاد؟ وأين ليالينا بحزوى، وتصابينا على أروى؟ بل أين الصبا وما ملك؟ وأين الشباب؟ وآية سلك؟ وإذ قد غاب جميع ذلك مغيب الخيال الطارق والضيف المفارق، فأين كتبك التي هي ألذ من انتهاء النفس إلى رجائها، وابتداء العين في إغفائها"[2].

"حرص كتاب هذا اللون من الرسائل، على التأنق في صياغة الألفاظ والتراكيب، وانتقائها، والعناية الفائقة برصف الجمل وبنائها فضلا عن ارتياد المعاني الرفيعة الجميلة غير المتداولة، ومن هنا فقد غلب على رسائل الاستزارة طابع المبالغة في وصف الأشواق، كما حرص الأدباء الكتاب أيضا على تضمين رسائلهم النثرية بالشعر الرقيق العذب الذي يناسب ظرف الرسالة وفحواها.

ومن روائع ما كتب أبو الفضل الميكالي إلى صديقه أبي منصور الثعالبي، ومما جاء فيها قوله:" كتابي، وأنا أشكو إليك شوقا لو عالجه الأعرابي لما صبا إلى رمل عالج، أو كابده الخلي لانثنى على كبد ذات حرق ولواعج، وأذم زمانا يفرق فلا يحسن جمعا ويخرق فلا ينوي رقعا، ويوجع القلب بتفريق شمل ذوي الوداد، ثم يبخل عليهم بما يشفي الصدور والأكباد .... وكم استعدي على صرفه واستنجد، وأتلظى غيظا عليه وأنشد.

[1] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية، ص289.

[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية، ص296.

متى وعسى يثني الزمان عنانه بعثرة حال، والزمان عثور

فتدرك آمال وتقضي مآرب وتحدث من بعد الأمور أمور...."[1]

المبحث الثالث: الخصائص الأسلوبية و البنائية لفن الترسل

أولا: المميزات الأسلوبية والفنية:

تميزت الرسائل بالعمق والثراء الفني مما زاد من رونقها وبروز ملامح النثر الفني من خلال خصائصها الأسلوبية والفنية، ومن أبرز هذه الملامح.

1-الصنعة الفنية والالتزام بالزخارف البديعية:

اعتنى الكتاب كثيرا برسائلهم مما دفعهم إلى العناية بأساليبها وإضفاء الجديد عليها من انتقاء الألفاظ، ومناسبتها للمقام المطلوب لتزيين المعنى وتجويده، " ولعل أبرز مظاهر الصنعة في رسائل الكتاب: التزامهم المفرط بالسجع وزخارف البديع الأخرى كالطباق والجناس والازدواج والموازنة وغيرها، وولعهم الشديد بفنون البيان الأخرى، كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية وغيرها لكلفهم المفرط بالوصف، وابتكار المعاني وتشقيقها"[2].

ونجد في الصناعتين قول أبي هلال العسكري بخصوص السجع:" ومن أوصاف البلاغة أن يكون السجع في موضعه،وعند سماحة القريحة به وأن يكون في بعض الكلام لا في جميعه فإن السجع في الكلام كمثل القافية في الشعر، وإن كانت القافية غير مستغنى عنها فالسجع مستغنى عنه"[3].

لعبت هذه المظاهر دورا هاما في تشكيل الصورة الفنية للرسائل، وإتمام الغرض من قوة وتأثير وتزيين للكلام.

[1] المرجع نفسه، ص296.

[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية، ص352.

[3] أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص166.

" وهكذا يمكن أن نقرر حقيقة مهمة، تلك هي: أن ما بلغه النثر الفني من تطور ونضج وإبداع، كان ثمرة ذلك الإعداد وعناية الأدباء الكتاب بتجويد أساليبهم، وتنميق كلامهم"[1].

2-حرص الكتاب على التناسب بين المبنى والمعنى:

" لقد عني كتاب الرسائل ببناء رسائلهم، وافتنوا كثيرا في صياغة أساليبهم، إلى جانب عنايتهم بمحتوى الرسائل ومضمونها...وهذا الأمر دفع الكتاب على العناية بموسيقى الألفاظ وجرسها وصياغة التراكيب ومتانتها ووضوحها، فضلاً عن العناية بجزئيات البناء الفني في الرسائل، ولعل هذا ما حفز الكتاب على استخدام التلاوين الصوتية العديدة لإضفاء أكبر قدرمن الإيقاع والتناسب النغمي في موسيقى نثرهم، وإلى جانب عناية الكتاب بالصياغة والأسلوب، فقد عنوا أيضا بالمعاني وحرصوا على التجديد فيها كما برعوا في صياغة الأفكار ودقتها وعمقها، ولعل هذا ما يفسر لنا لجوء الكتاب إلى تلك التلاوين الصوتية وأساليب التعبير الأخرى، لجلاء معانيهم، وضبط أفكارهم"[2].

3-البراعة في التصوير والإغراب في الخيال:

لقد كانت " رغبة الأدباء الكتاب في ابتكار معاني جديدة في وضوحها وتشقيقها وإظهارها قوية الدلالة، شديدة التأثير هو الذي حفزهم على تجويد صورهم والبراعة فيها، والأغراب والخيال"[3].

" فالتخييل هو تلخيص المعاني في الذهن وإبرازها في صفات الكمال فكلما كان الإنسان أقوى ملكة وأبعد آفاقا كانت أخيلته أرفع وأوسع"[4].

" فالتصوير الفني يشكل العنصر الجمالي فيه ليؤثر على المتلقي، والفن والقدرة يظهران التجاوب مع الأدوات الجمالية بين الأديب والمتلقي من حيث العرض والقبول والإحساس بالأثر والفائدة معا"[5].

---

[1] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية القرن الرابع هجري، ص352-353.

[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية القرن الرابع هجري، ص353.

[3] المرجع نفسه، 353.

[4] أسماء عبد الرؤوف عطية الله: الرسائل في العصر العباسي: أنواعها وخصائصها الفنية، ص142.

[5] أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص10.

للخيال دور بارز في العمل الأدبي، إذ أنه يتدخل كمعادل موضوعي للواقع الذي يعيشه الكاتب، فيجعل المعاني في صورة قريبة من الواقع المحس، ويعين على تذوقها، ويقف على أسرار جمالها، ويلجأ الكاتب إلى تحقيقه عن طريق استخدام الأساليب البلاغية.

وقد لجأ الكتاب لهذه الأساليب البلاغية محاولة منهم تشكيل"صور جديدة تستوعب معطيات الحياة الجديدة المتشعبة، وآفاق الحضارة التي شهدتها وما أفرزته من ثقافات غزيرة وافدة أغنت طاقة اللغة العربية بفيض من المعاني العقلية والفلسفية، وقد كانت تسعف الأدباء الكتاب في هذا الإبداع والخلق الفني، بديهة حاضرة، وحافظة نادرة، وذكاء وقاد، وثقافة واسعة بالعربية ومفرداتها وتراثها..."[1].

4-نزوع الكتاب إلى الإفاضة والإطناب:

" ولعل أبرز مظاهر الإطناب في الترسل، جنوح الكتاب إلى الترادف، لإشباع المعنى والإحاطة به، وتفصيله وإيضاحه، ومن مظاهره الأخرى أيضا الاعتراض، وما نجم عنه في رسائلهم من طول الفواصل بين المتلازمات بالجمل الاعتراضية الطويلة"[2].

5- مزج المنظوم والمنثور في الرسائل:

" ومن الظواهر التي شاعت أيضا كثرة تضمين الشعر في الرسالة، سواء كان الشعر شعرهم أم لغيرهم من الشعراء القدامى والمحدثين"[3]، وهذا ما تطرقنا إليه تحت عنوان تضمين الشعر في الرسالة، والملاحظ من خلال قراءتنا لتلك الرسائل أن تضمين الشعر فيها كان تقليدا فنيا وجزءا فنيا من صلب ما يكتبه الكتاب، وركنا مهما في البناء الفني للرسالة.

[1] غانم جواد رضا حسن: الرسائل الأدبية النثرية القرن الرابع هجري، ص353.
[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية القرن الرابع هجري، ص353.
[3] المرجع نفسه: ص354.

6-السجع والتوازن:

عرف البلاغيون السجع على أنه:" تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهذا معنى"[1]و يرى السكاكي أن السجع هو في النثر كالقافية في الشعر، وهو أحد الجوانب المهمة في التزيين وزخرف الأساليب أخذ في الظهور منذ بدايات القرن الثاني هجري في المكاتبات الأدبية، وناقش أبو هلال العسكري مسألة السجع، وخالف الرماني في "أنّ السجع كله مذموم، بل منه المذموم الذي يظهر فيه التكلف، ويرهق الألفاظ والمعاني، حتى يحاول القائل أن يكون كلامه رضًا غير متماسك بملاط من المعاني"[2].

بيّن السكاكي أن السجع لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه، إذا سلم من التكلف وبرئ من العيوب، ومن أوصاف البلاغة أن يكون السجع في موضعه، وعند ساحة القريحة به، وأن يكون في بعض الكلام لا في جميعه، فإن السجع في الكلام كمثل القافية في الشعر، وإن كانت القافية غير مستغنى عنها فالسجع مستغنى عنه، والسجع من أساليب تزيين الكلام بالقدر الذي يسمح بها لطابع وتوحي إليها لفطرة، والملاحظ أن الكتاب لا يتكلفون السجع في رسائلهم، وإنما يأتي عفو الخاطر حتى وإن كانت رسائلهم مطولة، فنجد منهم ابن عميد، واحمد بن يوسف وغيرهم...[3]

ونجد أن السجع أصبح شرطا من شروط الترسل، فالرسالة المسجعة يظهر التأنق فيها أكثر من غير المسجعة، ففي رسالة ابن العميد التي بعثبها إلى عضد الدولة مهنئا، نجد أن السجع قد شاع فيها وذلك في مثل قوله:" أطال الله بقاء الأمير الأجل عضد الدولة، دام عزه وتأييده وعلوه، وتمهيده وبسطته وتوطيده، وظاهر له من كل خير مزيده، وهنا هما اختصه به على قرب البلاد، من توافر الأعداد وتكثر الأمداد"[4] . فقد ظل السجع واستمر على ذلك الحال شائعا في الرسائل والسجع والتوازن متلازمين، وذلك لأن السجع يعني توافق الفاصلتين أو أكثر في القافية، ومن هنا يكون للكلام وقعه جميل، وللألفاظ

[1] عبد المتعالي الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، 2005، ج4، ص 554

[2] محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، ص 217

[3] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية القرن الرابع هجري، ص396-397.

[4] الحصري القيرواني: زهرة الآداب و ثمر الألباب، دار الجيل، بيروت، ج4، ص 120

المسجعة ترنيمات توازنات موسيقية مؤثرة، وكلما كانت الجملة قصيرة والألفاظ قد تحقق فيها السجع والتوازن حصلت الاستجابة"[1].

7-الطباق:

من صور البديع التي نجدها في المراسلات الطباق وهو من الصور التي كان لها حضور مكثف في المراسلات، إذ نجد الكتاب أولوه اهتماما كبيرا، حتى نجد الكاتب يرصف فقرا بكاملها في طباقات، فنراه يسترسل لمجموعة من الطباقات التي تزيد من تأكيد وتقريب الفكرة وتبيينها في ذهن المتلقي ومن ذلك ما ورد في رسالة أبي جعفر لابن هبيرة بالأمان:" وأذنت لك ولهم في المسير والمقام...أو تابع على خلافة أحد من المخلوفين فيسر أو علانية، أو أضمر لك في نفسه لك في نفسه غير ما أظهر لك"[2]، فقد طابق بين (المسير والمقام) و(السر،العلانية) و(أضمر لك في نفسه غير ما أظهر لك)، ويدل اعتماد الكتاب على الطباق وعنايتهم به على مدى اهتمامهم بتوضيح المعنى و إبرازه للمتلقي حتى لا ينشغل ذهنه بمعاني أخرى ملابسة.

8-الترادف:

"الترادف من الوسائل المهمة التي أسهمت في نماء اللغة العربية، وإثراء معجمها اللغوي، وقد غدت هذه الظاهرة اللغوية خصيصة أسلوبية طغت على كتابات كثير من بلغاء الكتاب، لتزوعهم إلى التدفق والإسهاب في معانيهم واستقصاء أفكارهم، فضلا عما يحققه الترادف من الإبانة والوضوح، والإفصاح عن المعاني والأفكار التي يروم الأدباء الكتاب إيصالها إلى المتلقين"[3].

و إضافة إلى ذلك فإن الكتاب سعوا إلى الإكثار من الترادف في رسائلهم للتأكيد على مضمون الرسالة التي يريدون إيصالها لغيرهم، ليجعلوا المتلقي من خلاله يصل إلى ما يلمّح به المرسل.

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص137.

[2] أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ص 12.

[3] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية القرن الرابع هجري، ص 433

" كانت المترادفات اللغوية في رسائل الكتاب تنصب في تتبع المعنى واستقصائه، وقد أسعفهم في ذلك بديهة حاضرة وحافظة نادرة، وذكاء حاد، وإحساس وقاد باللغة ومفرداتها وأبنيتها، ووجوه استعمالاتها المختلفة، وهذا كله مظهر واضح على قدرة هؤلاء الكتاب وبلاغتهم، ومن جانب آخر، فقد ساعدهم ذلك الثراء اللغوي الذي امتلكوه على اجتلاب المفردات والتعابير التي تقترب دلالاتها منالمعاني الواسعة التي عنوا بافتراعها وتوليده"[1]

ومن نماذج ذلك الأديب المفكر أبو حيان التوحيدي الذي كتب في رسالته الشهيرة إلى القاضي أبي سهل، يدافع عن صنيعه في إحراق كتبه: "... وحتى أوحى إلي في المنام بما بعث راقد العزم، وأجدّ فاتر النية، وأحيا ميت الرأي، وحث على تنفيذ ما وقع في الروع، وتريع في الخاطر، وأنا أجود عليك الآن بالحجة في ذلك إن طالبت، أو بالعذر إن استوضحت، لتثق بي فيما كان مني وتعرف صنع الله تعالى في ثنيه..."[2].

" وتستمر الرسالة في هذا التدفق والثراء اللغوي الذي يغترف الكاتب من لجحه الغامرة ما أعانه على استقصاء كل ما كان يجول في خاطره ويحتبس في أعماقه، ويثير مشاعره"[3]، و يكثر الترادف في رسائل التوحيدي ليتحوّل إلى خصيصة أسلوبية في معظم مكاتباته، و في رسالة أخرى يقول: "...ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه، أني فقدت ولداً نجيبا، وصديقاً جيبا، وصاحباً قريبا، وتابعاً أديبا، ورئيساً منيبا فشق علي أن أدعها لقوم يتلاعبون بها، ويدنسون عرضي إذا نظروا فيها، ويشمتون بسهري وغلطي إذا تصفحوها، ويتراءون نقصي وعيبي من أجلها..."[4].

ثانيا: الخصائص البنائية والشكلية للرسالة:

اهتم الأدباء الكتاب بالمبنى العام لرسائلهم، فضلا عن حرصهم على ارتياد الصور الفنية النادرة، وهذا ما تجلى بوضوح في حرص بلغاء الكتاب وصدورهم على التناسب بين المبنى والمعنى، من خلال عنايتهم

[1] المرجع نفسه: ص 433

[2] أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، مراجعة: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت، 2011، ص 18

[3] أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، مراجعة: هيثم خليفة الطعيمي ، ص433-434.

[4] أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص 19

بجرس الألفاظ، وموسيقى التراكيب وتآلفها مع المعاني والأفكار في تلاحم فني جميل ومتميز، مما دفعهم إلى العناية بصياغة استهلال الرسائل المتبادلة بينهم، وإعجابهم بهوادي الرسائل الأدبية التي تصل إليهم، وأعجارها أي ابتداءاتها وخواتيمها، فضلا عن رقة ألفاظها وبلاغة فصولها[1].

ومن أهم الخصائص البنائية:

1-الاستهلال: (المقدمة)

أ- الاستهلال أو الابتداء في الرسائل:

اهتم الكتاب بصدور رسائلهم وابتداءاتها، لأنها أول جزء من الرسالة يصل إلى المتلقي، لذلك حرصوا على أن يكون هذا الاستهلال جميلا ومؤثرا، مستساغا، لأن حسن الافتتاح – كما يقول ابن رشيق القيرواني- داعية الانشراح ومعطية النجاح، وتكمن أهمية الافتتاح، من أنه يدل على ما بعده من فحوى الرسالة، أي أنه وجب أن يكون الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده.

فالاستهلال كالمطلع في القصيدة، والافتتاحية في الموسيقى، كما عبر عنه ابن رشيق القيرواني أيضا "..... استدراج ما بعده....."[2]

-الاستهلال بالدعاء أو التحميد:

شاع كثيرا هذا النوع من الاستهلال خاصة في الرسائل الإخوانية، وقد جعل القلقشندي الاستهلال بالدعاء الأسلوب الأول في المكاتبات الدائرة بين أعوان الدولة، وأشار أيضا إلى تطور صور الأدعية، إذ اتجهت إلى الإجلال والإعظام فيقول:"وقد تقدم في الكلام على مقدمات المكاتبات ... أن الأدعية كانت في الزمن الأول تستعمل فيما يتعلق بأمر الدين، مثل قولك: أكرمه الله، وحفظه الله، ووفقه وحاطه، وما أشبه ذلك فعدل عنها قصدا للإجلال والإعظام إلى الدعاء بإطالة البقاء، وإدامة العز،

[1] المرجع نفسه: ص359.

[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية القرن الرابع هجري، ص359.

وإسباغ النعمة، ونحو ذلك، مما يتنافس فيه أبناء الدنيا، جرياً على عادة الفرس، ثم رتبوا الدعاء على مراتب فجعلوا أعلاها الدعاء بإطالة البقاء... "[1].

-الاستهلال بالشعر:

لقد اعتمد الكتاب في الاستهلال في رسائلهم على الشعر العذب، ولعل أشهر من عرف بهذه الظاهرة الفنية في صدور رسائله أبو بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني اللذان اشتهرا بسعة ثقافتهما، وإلمامها بالتراث العربي القديم، وغالباً ما كان استهلال الرسالة بالشعر يوطئ لفحواها، ويهيئ المتلقي للإصغاء والمتابعة، فأبو بكر الخوارزمي برع كثيراً في التمهيد لعتابه لصديقه (الطرحودي) وتغييره عليه، بهذا الاستهلال الطريف، إذ خاطبه بقوله: (من الطويل):

فلا ترتفع عنا لشغل وليته كما لم يُصغر عندنا شأنك العزل

ومن الاستهلالات بالشعر الجميل، على سبيل المثال، والتمهيد الناجح لفحوى موضوع الرسالة أيضا، ما استهل به الخوارزمي رسالته إلى الوزير بالحضرة وكان قد بالغ في الإحسان إليه : (من الكامل)

ما أقرب الأشياء حين يسوقها قدر، وأبعدها إذا لم تقدر[2]

-استهلالات أخرى:

وهناك أساليب أخرى في استهلال الرسائل الأدبية، لجأ إليها الكتاب، تبعاً لما يقتضيه موضوع الرسالة أو فحواها، فقد ولج بعض الكتاب إلى غرضهم في الرسالة دون استهلال، أو تقديم ، كما نلحظ ذلك، مثلا في بعض رسائل أبي بكر الخوارزمي ، وفي عدد من رسائل الأمير قابوس بن وشمكير أيضاً، أما الرسائل الجوابية فقد استهلها أكثر الكتاب بالصيغ والتعابير الآتية: (وصل كتابك أو وصلت رقعتك، أو ورد علي)، أو (ورد كتاب الحاكم)، أو (فهمت ما ذكره الشيخ في كتابه)، وغير ذلك[3].

[1] القلقشندي: صبح الأعشى، ص 127

[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية القرن الرابع هجري، ص368

[3] المرجع نفسه: ص369.

2-عرض الرسالة:

ويطلق عليه أيضا الموضوع" وهو الغرض الأساسي الذي من أجله يقصد العمل الأدبي، وعليه تنشأ الرسالة أو تلقى خطبة أو تنظم قصيدة، فالأعمال الأدبية ما هي إلا صدى يتردد في بيئة ما، حيث أن الكاتب يصور ما يرى ويصف ما يحس، لذلك لا يستطيع الأديب أن يستغني عن الموضوع"[1].

" العرض في أي عمل أدبي هو جوهره، والأساس فيه، وهو أيضا الجزء الذي يحفز الأديب الفنان لإنشاء عمله الأدبي، ومن هنا فإنه كثيرا ما يقرن بالأدلة لتوكيده، وإثباته وغالبا ما يمهد له بتوطئة مناسبة لإيضاحه، وكثيرا ما يعنى أيضا بوضع خاتمة له لإيجازه وتحديد أبعاده"[2].

" وفضلا عن التوطئة المناسبة لعرض الرسالة أو فحواها، فقد عني الكتاب بحسن الانتقال من التمهيد إلى العرض بفصل الخطاب (أما بعد) أو غيره من ألوان التخلص إلى غرض الرسالة، وهذا ما أفضى على بناء كثير من الرسائل وحدة الموضوع والانسجام بين جزئياته"[3].

3-خاتمة الرسالة:

" الخاتمة هي القاعدة التي يرسى عليها العمل الأدبي، وهي آخر ما يبقى من النص في ذهن المتلقى، أو ما يطلع عليه قارئ الرسالة أو هي آخر ما يعيه السمع، ويرتسم في النفس، فإن كان مختارا جبر ما عساه، وقع فيما قبله من التقصير، وإذا كان غير مختار، كان بخلاف ذلك، وربما أنسى محاسن ما قبله"[4].

" وقد أطلق عليها بعض النقاد القدامى الانتهاء، وذكر من لوازمه أن يكون محكما، لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وغالبا من يدرك الكاتب أو الأديب مراده أو ما يقصد إليه من رسالته

---

[1] ابراهيمي صليحة: الرسالة الاخوانية في التراث العربي- مقاربة أسلوبية- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخصص، نظرية الأدب والمناهج النقدية المعاصرة، كلية الآداب و اللغات والفنون، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016-2017، ص132.

[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية القرن الرابع هجري، ص370.

[3] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية القرن الرابع هجري، ص371.

[4] أسماء عبد الرؤوف عطية الله: الرسائل في العصر العباسي أنواعها وخصائصها، ص120.

أو عمله الفني، فلا بد أن تكون الخاتمة قوية مؤثرة حاملة في طياتها تلخيص ما اشتمل عليه مضمون الرسالة، وأن تكون مميزة عن سائر الكلام وأن تبتعد عن الإسهاب والتعقيد"[1].

وتنوعت أساليب اختتام الرسالة باختلاف موضوعاتها، أو لاختلاف شخصية المرسل إليه.

وفي ضوابط الاختتام يقول القلقشندي:" واعلم أنه لم يكن لهم ضابط للاختتامات ولا ما يقتضي ملازمة اختتام معين لصدر معين بل ذلك موكول إلى رأي الكاتب لا يراعي فيه غير علو الرتبة وهبوطها حيث تفاوتت رتب الاختتامات عندهم"[2].

تنوعت اختتامات الأدباء والكتاب، نوجزها فيما يلي :

أ- الاختتام بالدعاء أو التضرع والحمد:

"يكثر هذا النوع في الرسائل الإخوانية، التهاني، والمواساة، والشكر، وبث الأشواق، ومن نماذج الرسائل الاخوانية الطريفة التي اختتمت بالدعاء ما كتبه الصاحب بن عباد يهنئ الأمير عضد الدولة وقد ولد له ابنان توأمان:" .... وسألت الله إتمام ما أدناه من الأميرين السيدين من سعادة لا يهتدي إليها الاختيار علوا ولا ترتقي إليها الأفكار سموا.... وهو تعالى قريب مجيب"[3]

ب- الاختتام بالشعر :

شاع هذا الأسلوب أيضا في الرسائل لما زخر به الأدباء الكتاب من حافظة للشعر وتطلعهم لتراثهم العربي الأصيل، فضلا على أن أغلب الكتاب كانوا يجمعون بين ملكتي النظم والنثر، ولعل ما حفز الكتاب أيضا، عمق دلالة الشعر وشدة مناسبته لفحوى الرسالة فضلا عما يحمله من حلاوة الموسيقى، وطلاوة النغم، ومن هنا عدا الشعر دعامة مهمة في البناء الفني للرسالة، ومن مقدمة الأدباء الكتاب أبو بكر الخوارزمي، وبديع الزمان الهمذاني، والصاحب بن عباد، رسخوا ووظفوا موروثهم الثقافي وتراثهم الشعري في ترسلهم.

---

[1] ينظر المرجع نفسه، ص120.

[2] القلقشندي: صبح الأعشى،ص145.

[3] القلقشندي: صبح الأعشى،ص145.

من الشواهد البليغة، ما اختتم به الخوارزمي رسالة إلى وزير خوارزم شاه لما نكب فكتب إليه يسليه في محنته ويصبره:" أنت –أيدك الله تعالى- أغنى أهل خوارزم يوم تصير أفقرهم، وأكثرهم ساعة تظن أصغرهم وهو الوزير يوم يعزل، والمصون ساعة يتبذل...

إن الأمير هو الذي يضحى أميرا يوم عزله

إن زال سلطان الولا ية، كان في سلطان فضله"

ويتضح جليا عمق الوشيجة بين فحوى الرسالة وخاتمتها"[1].

ج- اختتام الرسائل بآي القرآن والتعابير الدينية:

"كان طريقة البلغاء إما الاختتام بآي القرآن المجيد، وإما حلها والإشارة إلى مضمونها أو فحواها، وكانوا أيضا يختتمون بتراكيب وتعابير دينية يتضح من خلالها الأثر الإسلامي ولعل أكثر الأساليب شيوعا: إن شاء الله، إن شاء الله عز وجل، ومن التركيب والتعابير الدينية نجد: الصلاة والتسليم على النبي المصطفى وعلى آله الأطهار" عليهم السلام".وقد انتشرت كثيرا في رسائل أبي بكر الخوارزمي، والصاحب العباد، وبعض رسائل بديع الزمان الهمذاني، والأمير قابوس وغيرهم"[2].

4-الألفاظ والتراكيب:

" المفردة اللغوية لبنة عامة في أي عمل أدبي، ولهذا فإن الأديب البارع هو من يؤلف بين اللفظ والمعنى، ليتحقق العمل الإبداعي، فالنص الأدبي- بوصفه عملا إبداعيا- إنه وإلا تشكيل فني خاص مؤلف من لبنات لغوية متوائمة في جمل وعبارات مركبة تركيبا خاصا، في مساحات نغمية متناسقة، غالبا ما تنتهي في النص النثري بائتلاف نهاية التواصل"[3].

[1] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية القرن الرابع هجري، ص375-376.

[2] غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية القرن الرابع هجري، ص380.

[3] المرجع نفسه: ص380-382.

أدرك الأدباء الكتاب القيمة الكبيرة للألفاظ والمفردات، فحرصوا على اختيار أفصح الألفاظ وأقواها في الدلالة في ترسلهم ومكاتباتهم، و هو ما أفاض فيه الكلام من قبل أبو هلال العسكري:" إن جودة الكلام ما كان فيه اللفظ جزلا، سهلا لا ينغلق معناه ولا يستبهم مغزاه، ولا يكون مكدودا ومتوعرا متقعرا، ويكون بريئا من الغثاثة، عاريا من الرّثاثة. والكلام إذا كان لفظه غثّا، ومعرضه رثّا كان مردودا، ولو احتوى على أجلّ معنى وأنبله، وأرفعه وأفضله"[1].

من مميزات الأسلوب الرسالي اختيار الألفاظ التي تؤدي إلى المعنى المراد دون لبس أو غموض، ولابد من العناية بترتيب الألفاظ والعبارات لتكون واضحة الدلالة على المعاني، حتى تتحقق الغاية المنشودة من الرسالة، فيقول الجاحظ بهذا الخصوص: " لم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا"[2]، ويرى أيضا أن الكتاب لا يقعون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة.

و نلاحظ من خلال دراساتنا للرسائل أن الألفاظ لها علاقة بالمقام الذي كتبت فيه الرسالة، فنجد الرسائل الديوانية قوية اللفظ، رصينة الأسلوب، متينة المعنى والرسائل الإخوانية والأدبية، ألفاظهما سهلة واضحة أنيقة.

ونستخلص أيضا أن لكل كاتب طريقته في اختيار ألفاظ تتناسب مع مقام الرسالة و كيف يلائمها مع المعنى المراد الوصول إليه.

[1] أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص 67.

[2] الجاحظ: البيان والتبيين، دار الهلال، بيروت، لبنان، ج1، ص 130

الفصل الثالث:

التحليل التداولي للرحلة الإنجوانية في التراث العربي

توطئة:

بعد تتبعنا في الفصلين السابقين نشأة فن الترسل و أهم خصائصه المضمونية و الأسلوبية، تبيّن لنا أن ظهور الرسالة عند العرب ارتبط في منشئها بوظيفة الإبلاغ و التواصل، و بناء على ذلك صنّفها النقاد الرسائل إلى رسائل ديوانية أو سلطانية، و رسائل إخوانية أو اجتماعية، و لعل هذه الأخيرة تبوأت مكانة هامة عند النقاد العرب القدماء، فجمعوها في مصنفات خاصة و درسوا جوانبها الموضوعية و البلاغية، و لكن دون الاهتمام بمعاني الرسائل في الاستعمال و علاقتها بظروف التخاطب، و سنحاول من خلال الفصل مقاربة نموذج من الرسائل الإخوانية، و هي رسالة أبي حيان التوحيدي إلى القاضي علي بن محمد يبين فيها سبب حرق كتبه معتذرا له عن ذلك، و لكن قبل الولوج إلى التحليل التداولي يجب أن نبيّن ماهي الآليات و الأدوات التي يستعملها المحلل في مقاربة الخطاب مقاربة تداولية، و ما الغرض من هذا النوع من التناول.

-لماذا نقارب الخطاب الرسالي مقاربة تداولية؟

- التقديم النظري:

الهدف من تحليل الخطاب تحليلا تداوليًا هو الوصول لمعناه في التداول والاستعمال، وليس الوقوف على المعاني الظاهرة له، أو المظاهر الجمالية له دون بيان وظيفتها في التواصل و الإبلاغ، **و لذلك** ينبغي على المحلّل الإلمام بكل معطيات و ظروف الخطاب من قبيل (المتكلم، المرسل إليه، الخطاب السياق الداخلي والخارجي ...) فهي وسائل مهمة للوصول للدلالات الاستعمالية التي ضمنها منشئ الرسالة في الخطاب و هو يعلم بحال متلقيها.

التحليل التداولي للخطاب يوجهنا للاهتمام بالعناصر التالية: دراسة الأفعال الكلامية وفق مفهوم أوستن وسيرل، ودراسة المتضمنات، ومنها الافتراض السابق، والاستلزام الحواري لغرايس، والدراسة الحجاجية للخطاب.

أولا –تحليل الأفعال الكلامية:

دراسة الأفعال الكلامية في الرسالة الهدف منها تصنيف الخطاب أو أجزائه بحسب أغراضه وقوته الإنجازية، و هو ما يجعلنا توجيه معنى الرسالة حسب هذه الأفعال، و معرفة ما إذا كانت رسالة إخبارية، أو توجيهية، أو تعبيرية، أو إعلانية، أو التزامية.

ودراسة الأفعال الكلامية تدرس على أربعة مستويات: الفعل النطقي، والفعل القضوي (الإسنادي – الإحالي)، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري.

والأفعال الكلامية التي تتطابق دلالتها الحرفية مع قوتها الإنجازية تسمى أفعالا كلامية مباشرة، وإذا اختلفتا تسمى أفعالا كلامية غير مباشرة.

1-**تحليل (الفعل النطقي)**: يشمل دراسة الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية . 2- **تحليل (الفعل القضوي)**: نعني به دراسة الدلالة الحرفية، ويشمل ضربين من التحليل:

-**دراسة الإحالة:** في الرسالة الإخوانية قد تكون الإحالة إلى أشخاص أو أماكن أو أشياء أو غير ذلك، داخل الخطاب أو خارجه.

- **دراسة الإسناد:** إسناد نسبة المحمول أو الحمل إلى الموضوع المحال عليه. وهما معا يشكلان المعنى الدلالي أو المعنى القضوي.

3- **تحليل (الفعل الإنجازي)** وهو أهم الأمور في الأفعال الكلامية ويهتم بدراسة المعنى الذي يريد المتكلم إيصاله للمخاطب، من خلال الرسالة، ويدل عليه دليل وهو القوة الإنجازية، وبدراسته يمكن تصنيف الكلام لأحد التصنيفات الخمسة المذكورة سابقًا:

أ- الإخباريات: وهي تقديم الخبر بوصفه تمثيلًا لحالة موجودة في العالم، ومن أمثلته في الرسالة: الأحكام التقريرية والأوصاف الطبية والتصنيفات والتفسيرات.

ب- التوجيهيات: وهي الأفعال التي تحاول جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائمًا مع المحتوى الخبري للتوجيه، ومن أمثلتها: الأوامر والنواهي والطلبات، و ما تنطوي عليه الرسائل السلطانية بصفة كبيرة، بينما يندر ذلك في الرسائل الإخوانية، لأنه يفترض أن تكون بين طرفين متساويين اجتماعيا.

ج- الالتزاميات: وهي الأفعال التي يتعهد فيها المتكلم بتنفيذ الفعل الممثل في المحتوى الخبري، ومن أمثلتها: المواعيد والنذور والرهون والعقود والضمانات والتهديد، و هو ما نجده في النوعين عادة.

د- التعبيريات: وهي الأفعال التي تعبر عن شرط الصدق للفعل الكلامي، ومن أمثلتها في الرسائل الإخوانية كثير، مثل: الاعتذار والشكر والتهاني والترحيب والتعزية.

هـ- الإعلانيات: وهي الأفعال التي تعمل على إحداث تغيير في الواقع، بحيث يطابق الواقع مضمون القضية بمجرد الإنجاز الناجح لمضمون الفعل الكلامي.

4-**دراسة (الفعل التأثيري)**: يهتم بدراسة ما يمكن أن يحدثه الفعل الإنجازي في متلقيه من تأثير على قناعاته وأفكاره ومشاعره وعواطفه، فقد يخيفه وقد يحفزه وقد يحزنه وقد يشعره بالسعادة أو الامتنان أو بالحماس حسب طبيعة الفعل الإنجازي وقوته أيضًا، ويظهر أثره في سلوك المتلقي.

ثانيا-المتضمنات: تهتم بدراسة المعاني غير الصريحة التي يتضمنها الكلام من قبيل التضمين والافتراض السابق والاستلزام الحواري. ويقابلها في الثقافة العربية على سبيل المثال دراسة المفهوم في أصول الفقه والحذف والإضمار في النحو والمعاني المستفادة من استعمال الصور البيانية في البلاغة.

ثالثا-الافتراض السابق: هو شيء يفترض المتكلم أن يكون عليه الحال قبل الكلام، المتكلمون وليس العبارات هم الذين يملكون الافتراضات السابقة.

رابعا-الاستلزام الحواري: معاني غير صريحة تفهم من الكلام عند مخالفة قواعد مبدأ التعاون الكم والكيف والمناسبة والطريقة. ففي الرسالة الإخوانية على المحلل البحث عن المخالفات والكشف عن المعاني غير الصريحة وراءها.

خامسا-الحجاج: يهتم بمعرفة الكيفية التي تُستخدم بها اللغة ووسائلها المختلفة في التأثير على المخاطَبين، على اختلاف في درجة هذا التأثير.

نتوقع بعد دراسة كل هذه العناصر في الخطاب الرسالي معرفة أي الأصناف أكثر استخداما في الخطاب، كذلك معرفة أيهما أكثر استخدامًا الأفعال المباشرة أم غير المباشرة ؟ وهل الفعل الكلامي نجح في عملية التواصل أم فشل في ذلك من خلال تطبيق شروط الملاءمة.

-الإجراء التطبيقي:

اخترنا رسالة إخوانية لأبي حيان التوحيدي يقدّم فيها اعتذاره للقاضي علي بن محمد عن الفعل الغريب الذي قام به و هو حرق معظم كتبه، و هي رسالة رأينا أنها تستجيب لمقتضيات التحليل التداولي.

-رسالة أبي حيان التوحيدي للقاضي أبو سهل علي بن محمد:

" و كان أبو حيانقد أحرق كتبه في آخر عمره لقلة جدواها، و ضناً بها على من لا يعرف قدرها بعد موته، فكتب إليه القاضي أبو سهل علي بن محمد يعدله على صنيعه، و يعرّفه قُبْحَ ما اعتمد من الفعل و شنيعه، فكتب إليه أبو حيان يعتذر من ذلك: (حرسك الله -أيها الشيخ- من سوء ظني بمودتك وطول جفائك، و أعاذني من مكافأتك على ذلك، و أجارنا جميعا مما يسود وجه عهد إن رعيناه كنا مستأنسين به، و إن أهملناه كنا مستوحشين من أجله، فأدام الله نعمته عندك، و جعلني على الحالات كلها فداك، وافاني كتابك غير محتسَب و لا متوقّع ، على ضمأ برْح مني إليه، و شكرت الله تعالى على النعمة به عليَّ، و سألته المزيد من أمثاله الذي و صفت فيه بعد ذكر الشوق إليّ والصبابة نحوي، وما نال قلبك و التهب في صدرك من الخبر الذي نمي إليك فيما كان مني من إحراق كتبي النفيسة بالنار و غسلها بالماء، فعجبتُ من انزواء وجه العذر عنك في ذلك ، كأنك لم تسمع قارئاً يقرأ قوله جلّ و عز : (**كُلُّ شيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وجْهَهُ لهُ اَلْحُكْمُ و إلَيْهِ تُرْجَعُون**)_القصص:88_وكأنك لم تأبه لقوله تعالى : (**كُلُّ مَنْ عَلَيْها فان**) _الرحمن:26_ و كأنك لم تعلم أنه لا ثبات لشيء من الدنيا و إن كان شريف الجوهر كريم العنصر ما دام مقلَّبا بيد الليل و

النهار، معروضاً على أحداث الدهر و تعاور الأيام، ثم إني أقول : إن كان –أيدك الله– قد نقب خفَّكة ما سمعت فقد أدمى أظلّي ما فعلتُ ، فليهن عليك ذلك فما انبريت له و لا اجترأتُ عليه حتى اسْتَخرْتُالله عز وجل فيه أياما و ليالي، و حتى أوحى إليَّ في المنام بما بعث راقدَ العزم، وأوجد فاتر النية، و أحيا ميت الرأي و حثَّ على تنفيذ ما وقع في الرّوع و تريّع في الخاطر، و أنا أجود عليك الآن بالحجة في ذلك إن طالبت، أو بالعذرإن استوضحت، لتثق بي فيما كان مني، و تعرف صنع الله تعالى في ثنيه لي) .

و طويته إذا أنعمت النظر تيقنتَ أن لله جل و عز في خلفه أحكاما لا يعازّ عليها، و لا يغالب فيها، لأنه لا يبلغ كُنهها، و لا ينالُ غيبها، و لا يُعرفُ قابها و لا يُقْرَعُ بابها، و هو تعالى أمْلَكُ لنواصينا و أطلعُ على أدانبناوأقاصينا، له الخلقُ و الأمر، وبيده الكسرُ و الجبر، و علينا الصمتُ و الصبر، إلى أن يوارينا اللحد و القبر و السلام"[1] .

أولا –من هو منشئ الرسالة؟

أبو حيان التوحيدي: "علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي شيرازي الأصل، وقيل نيسابوري، ووجدت بعض الفضلاء يقول له الواسطي، صوفي السمت والهيئة، وكان يتأله والناس يقولون في دينه، قدم بغداد فأقام بها مدة، ومضى إلى الري وصحب الصاحب أبا القاسم اسماعيل بن عباد، وقبله أبا الفضل ابن العميد فلم يحمدهما، وعمل في مثالبهما كتاباً، وكان متفننا في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة، وكان جاحظياً يسلك في تصانيفه مسلكه، ويشتهي أن ينظم في سلكه، فهو شيخ في الصوفية وفيلسوف الأدباء،

[1] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1993، ج 5،ص 1932-1933

وأديب الفلاسفة، و محقق الكلام، ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء، وعمدة لبني ساسان، سخيف اللسان، قليل الرضى عند الإساءة إليه والإحسان، الذم شأنه،والثلب دكانه، وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية، وكان مع ذلك محدوداً محارفاً يتشكى صرف زمانه، ويبكي في تصانيفه على حرمانه. و لم أر أحداً من أهل العلم ذكره في كتاب ولا دمجه في ضمن خطاب "[1].

ولأبي حيان تصانيف كثيرة منها : كتاب رسالة الصديق والصداقة،كتاب الرد على ابن جني في شعر المتنبي، كتاب الإمتاع والمؤانسة جزءان، كتاب الإشارات الإلهية جزءان،كتاب الزلفة،كتاب المقابسة، كتاب رياض العارفين، كتاب تقريظ الجاحظ، كتاب ذم الوزيرين، كتاب الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي، كتاب الرسالة في صلات الفقهاء في المناظرة، كتاب الرسالة البغدادية، كتاب الرسالة في أخبار الصوفية، كتاب الرسالة الصوفية أيضاً، كتاب الرسالة في الحنين إلى الأوطان، كتاب البصائر وهو عشرة مجلدات كل مجلد له فاتحة وخاتمة، كتاب المحاضرات والمناظرات[2].

ثانيا-عصر الكاتب:

" يعد العصر العباسي من أزهى العصور الأدبية وأكثرها ازدهارا، وهذا راجع إلى كون الكتابة الأدبية بلغت فيه قمتها، وخير مثال على ذلك كثرة الكتب والمؤلفات التي تزخر بها المكتبات العربية، والتي تعود في معظمها إلى ذلك العصر، فقد نشطت الحركة الأدبية بشكل كبير

[1] المصدر نفسه: ص1923-1925.

[2] ياقوت الحموي الرومي: معجم الأدباء، ص1925.

في ذلك العصر، غير أن ما يهمنا منه هو الفترة التي عاش فيها صاحب المقابسات، فقد عاش التوحيدي في العصر العباسي الثالث، والذي فسدت فيه عصبية بني العباس، وتغلغلت فيه الأعاجم، وتسلطت على أمور الدولة، وبالأخص بدخول القرن الرابع الهجري، فقد تراجعت فيه الأمور، وتدهورت بسبب سيطرة بني بويه على معظم مناطق الدولة العربية، ونشرهم فيها الفساد والخراب"[1].

يتصل هذا الخطاب الرسالي إذن بالعصر العباسي الثالث، وتظهر في الرسالة بعض الإشارات إلى تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، و عدم اهتمام الناس بطبقة العلماء و المثقفين آنذاك.

" لقد انقسمت الدولة العباسية على نفسها دويلات وإمارات يحكمها في الأغلب الأعاجم، وكانت العراق من نصيب بني بويه، فعاثوا فيها وخربوها، وفعلوا الأعاجيب في بث الفوضى، ونشر الفساد، والعبث بالخلفاء طيلة حكمهم وتسلطهم على العراق، وقد كان حكمهم طويلا، وقد صور التوحيدي ذلك في كتابه (الإمتاع والمؤانسة) خير تصوير، فقد نقل صورة ذلك الفساد والعبث بالسلطة، وتدهور الأوضاع الاجتماعية والسياسية في مسامراته وأحاديثه، وهذا ما جعل عبد العزيز شبيل يعتقد أن ميزة القرن الرابع تتمثل في انحصار المجتمع في طبقتين بينهما بون شاسع وقطيعة تصل إلى حد المواجهة"[2].

[1] محمد كرد علي: أمراء البيان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، القاهرة، ج2 ، ص494.

[2] عبد العزيز شبيل: نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري، جدلية الحضور والغياب، دار محمد علي الحامي، تونس، ط1، 2001، ص 301.

لقد تضمنت هذه الرسالة الصراع بين الطبقتين السابقتين، وصعود طبقة الأعاجم والعوام إلى سدة الحكم، مما أثر على الحياة العلمية والعقلية في العراق، وكذلك تقهقرت مكانة العلم والعلماء في المجتمع.

"إن التدهور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي أدى إلى انقسام المجتمع إلى طبقتين الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة فالأولى تعيش في بحبوحة من العيش، وهذه الطبقة هي الطبقة الحاكمة أو صاحبة السلطة، أما الثانية المحكومة وتعاني الفقر والبؤس والشقاء، وإليها ينتمي الأدباء والعلماء. غير أن هذه الحالة المتدهورة وهذا الانقسام والتفكك، كان لها الأثر الكبير في انحطاط الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدولة العربية، لم يمس الأدب في شيء بل الغريب أنه حدث العكس، فقد بلغ الأدب في هذا العصر من الازدهار ما لم يبلغه في أي عصر "[1].

"وعليه لا يمكن ربط التطور والازدهار دائما بالتطور والازدهار في الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فقد وجدت بعض الحالات انقلبت فيها الأمور، كما هو الحال في الفترة التي عاش فيها التوحيدي، فقد هيأت الإمارات والدول المختلفة في ذلك العصر حركة أدبية وعقلية واسعة؛ بحيث عد رغم ما كان فيه من انقسامات وانشقاقات من أحفل العصور العربية بالنشاط الأدبي والعلمي والفلسفي"[2].

[1] شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص202.
[2] المصدر نفسه: ص201.

"وفي ظل كل تلك الظروف والأحوال عاش التوحيدي وتأثر بها ونقل بعض ملامحها في كتبه المختلفة، ولعل أهم عنصر كان له صدى في مؤلفاته وكتبه (البيئة)، وما كان يضطرم فيها من أحداث وقيم، وهو من هذه الناحية شبيه بالجاحظ، فكل منهما تأثر بالبيئة ومزجها في كتاباته"[1].

" إن أبا حيان وغيره من كتاب ذلك العصر لم يكونوا إلا إفرازا طبيعيا للبيئة التي عاشوا فيها، وتأثروا بها في ظل حكم بني بويه الذين أفسدوا أمور الحكم والشعب، وما زادوا الشعب إلا بؤسا وفقرا، وبطبيعة الحال كان ذلك ينطبق على العلماء والأدباء؛ لأنهم كانوا من الطبقة الثانية، أي من عامة الناس "[2].

"وبالرغم من ذلك فإن الازدهار الأدبي بلغ قمته وذروته في ذلك العصر وهذا ما لمسناه في أراء الباحثين السابق ذكرهم،وما أكد لهم ذلك الرقي والتطور هو تصوير الحياة بمختلف وجوهها في ذلك الوقت، فقد كانت كتابة الأدباء والكتاب تمثل ثقافة جامعة لكل المناهج التي أنتجتها الحضارة العربية الإسلامية والتي نجد بعض صورها في كتابات التوحيدي"[3].

"فالتوحيدي كان شخصية من عامة الناس و لم تكن له الحظوة والمكانة في عصره على خلاف غيره من الأدباء وهذا بسبب تغاضي المتأخرين عن ضمه في جملة الأدباء العظام والصد عنه رغم مكانته الأدبية والثقافية، فمؤلفاته وكتبه تنم عن شخصية فذة لا يمكن مجاراتها ولا مقارنتها بأي

[1] محمد زغلول سلام: الأدب في عصر العباسيين، من بداية القرن الرابع إلى نهايته، منشأة المعارف، ط1، الإسكندرية، مصر، 1999، ج2، ص250.

[2] فوزي سعد عيسى : من قضايا النثر الفني في القرن الرابع وما بعده، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998، ص13.

[3] ماجدة محاينة: مفهوم الإنسان عند أبي حيان التوحيدي، مجلة التراث العربي، ملخص بموقع اتحاد الكتاب العرب، ع 73، دمشق، 1998.

شخصية أخرى، فهو تميز عن غيره بشخصيته العلمية التي تجلت في المباحثات والمناقشات المدونة بعامل الجرأة على تخطي القيود التي كانت تقيد أصحاب المذاهب الدينية والفلسفية"[1].

"إن عدم تعصب أبي حيان لمذهب من المذاهب كان سببا في تشبعه بكل الثقافات والتيارات الفكرية في عصره وأخذه منها وترجمتها فيما بعد حسب فهمه لها، فهو كان يعلم مكانته وقدر نفسه رغم الاحتقار الذي لاقاه من طرف الذين هم أعلى منه جاها وقوة، إلا أنه كان يعرف أين يضع قدمه، فهو يدرك تمام الإدراك أنه أقل شأنا منهم في الحياة، ولكنه أرفع منهم منزلة في العلم والثقافة، وهذا ما جعله معتدا بنفسه، وكان هذا عزاءه الوحيد في مواجهة تلك المصاعب والمنغصات التي نغصت عليه حياته وعيشته.

لقد امتاز التوحيدي بعبقرية خاصة، فقد كانت له القدرة على الجمع بين الوعي الفلسفي والأدبي الرفيع والتمكن من الاختيار، هذه القدرة ساعدته على أن يكون أدبه متميز "[2].

" ولعل هذا ما جعل كتاباته تكون أكثر دقة وتكون منظمة تنظيما عقليا، وتؤكد أن التوحيدي كان صاحب فكر منظم، وهو ما جعل منه رجلا فهم لغة عصره وترجمها ونقلها كما هي في عصره ولكن بأسلوبه الخاص، فقد كانت له شخصية فلسفية واسعة الأفق تستخلص الأمور من كل ما يقع أمامها، إضافة إلى أنه عرف حقيقة النثر وعرف مقوماته وقواعده وحللها تحليلا

[1] محمد كرد علي: أمراء البيان، ص500.

[2] شيخ أمال: البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي،ص18.

دقيقا يتصف بالعمق والدقة، وهذا ما جعله يترجم الأحوال والظروف المحيطة به في أدق الصور وأعمقها"[1].

ثالثا– من هو المرسل إليه: القاضي علي بن محمد:

«أبو القاسم علي بن محمدالتنوخي، الأنطاكي كان عالماً بأصول المعتزلة والنجوم، قال الثعالبي في حقه : " هو من أعيان أهل العلم والأدب ، وأفراد الكرم وحسن الشيم، وكان كما قرأته في فصل للصاحب بن عباد: إن أردت فإني سُبحة ناسك، وإن أحببت فإني تفاحة فاتك، أو اقترحت فإني مدرعة راهب، أو آثرت فإني تحية شارب " . وكان تقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين، وحين صُرف عنه ورد حضرة سيف الدولة بن حمدان زائراً ومادحاً فأكرم مثواه وأحسن قراه.

وقال الخطيب: إنه ولد بأنطاكية يوم الأحد لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثمان وسبعين ومائتين، وقدم بغداد وتفقه بها على مذهب الإمام أبي حنيفة، رضي الله عنه، وسمع الحديث (وكان معتزليا). وتوفي بالبصرة يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة، رحمه الله تعالى، ودفن من الغد في تربة اشتريت له بشارع المربد ».[2]

رابعا–ظروف وسبب التراسل:

«ونتيجة للإهمال الذي عاش فيه أبو حيان طوال العشرين عاماً الأخيرة من حياته مستتراً متخفياً، أحرق كتبه لقلة جدواها وضناً بها على من لا يعرف قدرها بعد موته،فيقول السيوطي:

[1] المصدر نفسه، ص19.

[2] ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص368-369.

لعل النسخ الموجودة الآن من تصانيفه كتبت عنه في حياته وخرجت عنه قبل حرقها، وربما كان لاشتغاله بالنسخ وتأليفه كتبه وتقديمها إلى بعض رؤساء عصره أملاً في مجازاته عليها سبباً في بقاء العديد منها ونجاته من الحرق. وعندما أقدم أبو حيان على ذلك نحو عام 400 هـ 1009م كتب إليه القاضي أبو سهل علي بن محمد يعذله على صنيعه ويُعرفه قبح ما اعتمد من الفعل وشنيعه، فكتب إليه أبو حيان معتذراً عن ذلك بكتاب مؤرخ في شهر رمضان سنة أربعمائة. ونظراً لأهمية هذا الكتاب الذي يوضح فيه أبو حيان الأسباب التي دعته إلى ذلك وكيف سبقه إلى هذا الفعل علماء كبار، وتراجعه فيه عن بعض ما اعتقده من أمور جعلت المتأخرين يتهمونه بالإلحاد والزَّنْدَقَة، حيث يقول: أسأل الله رب الأولين أن يجعل اعترافي بما أعرفه موصولاً بتروعي عما اقترفته إنه قريب مجيب »[1].

1- مظاهر الإخفاق الذي مني به:

-حياة البؤس التي عاشها: بؤس مادي ومعنوي

-عداوته مع كبار الكتاب والحكام وانصراف الناس عنه لم توصله كتاباته إلى ما حلم به وتمناه من تقدير، بل العكس فهي تعبر عن إخفاقه.

-ظل نكرة مغموط الحقوق.

-قسوة الحياة عليه وعيشته مستترا متخفيا في أواخر عمره.

-حرقه لكتبه ومؤلفاته في آخر عمره.

[1] أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1432ه2011 م، ج1، ص17.

2-الأسباب الذاتية:

- حبه لاستجداء المال والعطف والاهتمام به.

-شخصيته الفريدة وما تحمله من ازدواجية وتناقضات وقلق.

-مزاجه السوداوي، زئبقي المشاعر، سيء الظن بالناس والوجود

-عيشه في الفقر المقفع

-حقده وتشاؤمه من الحياة

3- الأسباب الموضوعية:

-الخوف من إساءة توظيف كتبه ومؤلفاته.

-عدم تقديرها أو نجاحها في القيام بدورها المؤقت

-حقده على أدباء وكتاب عصره

-تحقيق الثراء المادي

-يقظته العقلية والعاطفية على حقيقة الحياة

-عدم ميوله لمذهب من المذاهب واتباعه للعقل والفلسفة والمنطق

خامسا: ملاحظة الرسالة:

1- نوع النص وسياقه العام:

النص نثري، عبارة عن رسالة، يتمثل سياقه العام، في اعتذار أبي حيان التوحيدي لصديقه على حرق كتبه.

2- المؤشرات الخارجية

المرسل: أبو حيان التوحيدي– المرسل إليه: القاضي علي بن محمد- السياق(موضوع الرسالة): اعتذار أبي حيان لصديقه إحراقه كتبه

3- الفكرة العامة

اعتذار أبي حيان بحاله وعسرته وزهده في الشهرة وعدم تقدير الناس لكتبه وتأسيه في ما فعله في زاهدين أعدموا كتبهم .

سادسا: فهم النص:

الحدث الذي يدور حوله النص: دوافع وأسباب حرق أبي حيان لكتبه.

موقف القاضي: حزن وغضب ولوم وعتاب

التعليل:

جاء التعليل على حجة دينية، تستوجب التسليم بمدلولها تمثل في استخارة الله عز وجل ثم الوحي إليه في المنام بما يشجعه على تنفيذ ما جرى في خاطره بشأن كتبه، وتقاصر العمل عن العلم، وعدم استحقاق من عاشرهم لبقاء كتبه بينهم، لعدم اهتمامهم بها ولتنكرهم له وفساد أخلاقهم، مع سوء حاله وشدة فقره وحاجته، واتعاظه بمن مات ونفوره من الدنيا ونفض يده منها.

ومن خلال الرسالة يرى التوحيدي أن للعلم علاقة بالعمل، أي اعتبار الصلة وثيقة بين أي شخص وأعماله، فالشخصية العالمة تقتضي أن تكون عاملة بهذا العلم. ومن ذلك يأتي تخوفه من أن

تكون كتبه حجة عليه، وتهمة له وذنبا في رقبته، لا أن تكون حجة له وداعما يدعمه في آخرته أمام الله تعالى.

كما أنه في آخر المطاف لم يجد مقابلا ماديا ومعنويا لهذا الصرح من الكتب خوفه على كتبه من التدنيس.

كان أبو حيان يرغب من وراء أدبه وعلمه تحقيق مجد شخصي، وثراء مادي يغير به حالة الفقر والبؤس، وعن اختياره التصوف بعد هروبه وعيشه مستترا، ظن أن الزهد هو ملجأه الوحيد، واتخذ من الفلسفة جناحا للارتفاع لكن ما لبث أن رجع إلى الأرض، وهذا سبب له مشكلة كبيرة ملأت عالمه بالقلق والمرارة وقوي شعوره بالغربة وإحساسه بظلم الناس له، وأن الحياة مليئة بالشرور، وما لبث أن كبر أبو حيان ودق باب الشيخوخة والعجز والضعف، وأنهكه المرض وأقعده الفقر والعوز، وأذله الإهمال، وأنه كتب كتبه – كما قال في رسالته- للناس ، ولطلب المثالية منهم، ولعقد الرياسة فيهم، ومد الجاه بينهم، وأنه رغم هذا ظل نكرة، لا حقوق له، وفي عز هذا الشرود النفسي مد يده إلى كتبه لإحراقها وقتلها، والانتقام من نفسه.

-نوع العلاقة: علاقة صداقة وطيدة، علاقة محبة وود

" حرسك الله أيها الشيخ من سوء ظني لمودتك وطول جفائك وأعاذني من مكافأتك على ذلك"[1]

-الصفات: مخلص، محب لأبي حيان، وفي ، حافظ للعهد

-أصناف العلم الذي تضمنتها الكتب: الدين، الفلسفة، السياسة.

[1] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ص 1932

-موقف الناس: اتهامه بالإلحاد

-دليل على أن الأدب باب من أبواب الرزق:

" على أني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالية منهم، ولعقد الرياسة بينهم، ولمد الجاه عندهم، فحرمت ذلك كله"[1]

جمع أبو حيان كتبه من أجل أن يتعلم الناس منها، ويهتدوا بها، ومن أجل أن يحصل على المال الذي يحسن حاله، ويعلي شأنه، ويرفع قدره بينهم، لكن النتيجة كانت عكس توقعاته فقد ظل نكرة مسلوب الحقوق.

-التصميم الذي تدرجت وفقه الأفكار:

تدرجت أفكار النص وفق تصميم تسلسلي مترابط مرتبة ترتيبا متدرجا متصاعدا.

-الألفاظ والعبارات المرتبطة بطرفي الرسالة وموضوعها:

المرسل	المرسل إليه	الموضوع
جعلني مني شكرك سألته	الشيخ فداك نال قلبك والتهب في صدرك أيدك الله	كتابك الخبر إحراق كتبي النفيسة بالنار وغسلها بالماء تنفيذ ما وقع

[1] المصدر نفسه: ص 1932

إحراق كتبي النفيسة أني جمعت أكثرها للناس ضمير المخاطب " ك"		أن هذه الكتب حوت من أصناف العلم

-الموقف الموضوعي العام وأسسه:

التبرؤ من هذا العلم، " إن الكتب حوت من أصناف العلم سرهوعلانيته فأما من كان سرا فلم أجد له من يتحلى بحقيقته راغبا وما كان علانية فلم أصب من يحرص عليه طالبا"

أسسه: العلم قد أثقل كاهله وأورثه الذل، وأعقبه مهانة وضيما، وتخوفه من أن تكون كتبه حجة عليه وذنبا في رقبته لا أن تكون حجة له وداعما يدعمه في أخرته، وعدم استحقاق الناس لبقاء كتبه بينهم، لعدم اهتمامهم بها .

-الحجج والمبررات الذاتية:

تمثلت في:

علاقة الذات بصفاتها، فالصفات الملازمة لأبي حيان حينئذ من الكبر وانتظار الموت وعدم رغبته في الحياة " على أني جمعت أكثرها للناس، ولطلب المثالة، منهم ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم، فحرمت ذلك كله"[1] ، جمع أبو حيان الكتب من أجل أن يتحول من الفقر إلى

[1] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 1932

الغنى، ومن الإهمال والتحقير إلى الاهتمام والتعظيم، والخوف من أن تصبح كتبه كلا عليه وتعود نقمة عليه لا له.

كما لم توصله كتاباته إلى ما حلم به .

-الصراع مع الذات:

امتلك أبو حيان شخصية مزاجية، ذو نظرة سوداوية وهذا الصراع الدائم مع نفسه أدخله في حالة نفسية جعلته يميل إلى العزلة واتباعه المتصوفين .

-الصراع مع الآخر:

كرهه للناس وحقده عليهم.

بعده عن الناس وعدم مخالطتهم (الانطواء والانعزال)

-أبعاد الصراع مع الذات:

-حالته النفسية السيئة التي أوصلته إلى إحراق كتبه.

-تحول شخصيته من شخصية سوية إلى شخصية مزاجية.

-انصراف الناس عنه.

-ميله إلى التصوف والزهد في أخر أيامه.

-أبعاد الصراع مع الآخر:

-عداوته مع كبار الكتاب والأمراء والناس.

-التحقير والإهمال.

-عدم التقدير لصرحه الأدبي.

-**نوع العلاقة بين الصراعين:** علاقة طردية ، كلما زاد الصراع مع الذات تضخم الصراع مع الآخرين

العبارات الدالة على الحسرة والألم	العبارات الدالة النقمة والسخط	العبارات الدالة على اليأس والاستسلام
أدمى أظلي ما فعلت من إحراق كتب نفيسة أني فقدت ولدا نجيبا وصديقا حبيبا وصاحبا قريبا... فقدتهم بالعراق والحجاز والجبل والري	فشق عليا أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ... وهل المنهوم بها إلا كالحريص الجشع عليها... يشمتون بسهو وغلط إذا تصفحوها وتراءونا نقصي وعيبي ... كيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة فما صح لي من أحدهم وداد	حرمت ذلك كله... أصبحت هامة اليوم أو غد فإني في عشر التسعين... هل لي بعد الكسرة والعجز أمل في حياة لذيذة.... ما أجده من انكسار النشاطوانطواء الانبساط لتعاود العلل عليا تخاذل الأعضاء مني ، فقد كل البصر، وانعقد اللسان، وجمد الخاطر، وذهب البيان، وملك الوسواس وغلب اليأس من جميع الناس

-الأساليب التي تفيد الوصف والتي تتوخى الإقناع :

-أسلوب الشرط: " إن رعيناه كنا مستأنسين به، وإن أهملناه كنا مستوحشين من أجله".

-الجملة الدعائية: " فأدام الله نعمته عندك وجعلني على الحالات كلها فداك"[1] الجملة الدعائية أكثر تأثيرا في المخاطب مما جعلها أكثر تأكيدا وقوة.

-أسلوب التأكيد: " وافني كتابك غير محتسب ولا متوقع... معروضا على أحداث الدهر وتعاور الأيام"[2].

يؤكد أبو حيان وصول خطاب صديقه الذي لامه وعاتبه على إحراق كتبه، وكان مفاجأة سارة، لم يكمن متوقعا لها، بالإضافة إلى الحجج التي قدمها أبو حيان لصديقه بطريقة فنية بارعة، لاستدراجه نحوه محاولا إقناعه بصواب حرقه لكتبه من خلال تعجبه ودهشته قائلا:" فعجبت من انزواء وجه العذر عنك في ذلك"[3]

ونجد أسلوب الإقناع في " ثم إني أقول: إن كان – أيدك الله- قد نقب خفك ما سمعت فقد أدمى أظلي ما فعلت، فليهن عليك ذلك فما انبريت له ولا اجترأت عليه حتى استخرت الله عز وجل فيه

[1] ياقوت الحموي : معجم الأدباء 1932

[2] المصدر نفسه: ص 1932

[3] ياقوت الحموي: ص 1932

أياما وليالي وحتى أوحى إلي في المنام بما بعث راقد العزم، وأجد فاتر النية وأحيا ميت الرأي، وحث على تنفيذ ما وقع في الروع وتربع في الخاطر"[1]

جاءت هذه العبارة في غاية التماسك والتناغم فقد صدرت ب" ثم" هي من حروف العطف تفيد التراخي والمهلة وتردف ب" إن" المؤكدة ثم يضيف إليها ضميره ليزيد الكلام تأكيدا مضيفا له الفعل أقول تابعا لها جملة مقول القول جملة شرطية مبينا مشاركة صديقه حزنه بل ويؤكده " قد نقب خفك ما سمعت" فعل الشرط، " فقد أدمى أظلي ما فعلت" جواب الشرط، فالجملة الشرطية أكدت مشاركة أبي حيان حزن صديقه.

ومن أساليب الإقناع أيضا نجد التكرار الذي ظهر في " حتى" التي تكررت مرتين (حتى استخرت، وحتى أوحى ألي) " ، "الواو العاطفة" تكررت ست مرات، والتي زادت من تعميق التلاحم والانسجام ونجد أيضا الجملة الخبرية متصدرة ب" إن المؤكدة " لتطبع معناها في ذهن مخاطبه ولتزيل منه أي إنكار أو اعتراض ولتنتزع منه التسليم والاقتناع " إن العلم أحاطك الله يراد للعمل ، كما أن العمل يراد للنجاة" " ولقد اضطررت بعد الشهرة والمعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضروات في الصحراء "

يظهر العمق بدخول " قد" على الفعل " اضطررت" لإفادة التأكيد والتحقيق لأمور عاشها أبي الحياة حقيقة.

[1] المصدر نفسه، ص 1933

" إني في عشر التسعين " يؤكد بلوغه العقد التاسع من عمره، فيعطي بهذه الجملة لنا كبرا محددا، لا يملك المخاطب إزاءه إلا الاقتناع

" فقدتهم بالعراق والحجاز والجبل والري" إخبار المخاطب بأماكنالفقد ويصف له ليعمق من أثر الفقد على نفسه على اعتباره وزهده في الدنيا وتخليه عنها وعن كل ما يمت لها ومن بينها كتبه.

وصف زمانا تدعم له العين حزنا وأسى، وتقطع عليه القلب غيضا وجوى وضنى وشجى.

-الجمل الاعتراضية ووظيفتها:

-أيدك الله ⟵ التأييد والنصر من الله .

-أحاطك الله ⟵ عظم حب المخاطب وسمو مكانة صديقه عنده

-هذا ضرب من الاحتجاج المخلوط بالاعتذار ⟵ جملة احتراس توضيحي لمخاطبه وفي نفس الوقت اعتذار.

-ولا شك في حسن ما اختاره الله لي وناطة بناصية وربطة بأمر ⟵ الاستلام والصبر لقضاء الله وحكمه.

-جعلني الله فداك ⟵ يوضح درجات التفاني والإخلاص في الحب

-علمك الله الخير ⟵ جملة تمعن تدل على رفعة مترلة المدعو له لدى الداعي وشدة قربه منه .

-أيدك الله ⟵ تكشف عن سمو مكانة صديقه عنده ورفعتها.

-الظواهر الأسلوبية:

الجناس: (العلم – العمل، الإخوان – الأخدام) ، أضفى على اللفظ موسيقى صوتية متناسقة جعلت المعنى آنسا وممتعا

السجع: (مودتك- جفائك – مكافأتك – كلا – ذلا- غلا)، أضفى على الكلام موسيقى صوتية متجانسة، إضافة إلى تنميق الكلام وتحسينه.

الطباق: (الليل – النهار، مساؤك – صباحك) تأكيد وتقريب الفكرة وتثبيتها في ذهن المتلقي، إضافة إلى جذب انتباه المتلقي وتحقيق المتعة الفنية.

الكناية: "أدمى عضلي ما فعلت " تزيين اللفظ وتحسين النظم، تصوير المعنى والتأثير في النفس.

الاستعارة: " وأجارنا جميعا مما يسود وجه عهد" استعارة مكنية جعلت المعنى أكثر اقناعا وأشد جلاء في نفس مخاطبه، " رفع الحجاب عنه" ، " شحذ العزم"

المقابلة: " إن رأيناه كنا مستأنسين به، إن أهملناه كنا مستوحشين من أجله"، تقريب المعنى والتأكيد، وإفضاء جمالية للنص لاستثارة إعجاب المتلقي.

تركيب وتقويم :

أسلوب النص: نثر مسجوع يتم عن تكلف وصنعة

الشواهد: كثرة الأسجاع والتكرار، الطباق، الجناس.

قدرة التوحيدي على الإقناع من خلال أساليبه البيانية والوسائل المنطقية:

الأساليب البيانية: النص غزير بالصور البيانية كالاستعارة والكناية

الاستعارة	الكناية
يسود وجه العهد (مكنية)	قد نقب خفك ما سمعت
انزواء وجهك عن العذر في ذلك (مكنية)	فقد أدمى أظلي ما فعلت
وحتى أوحى إلي في المنام بما بعث راقد العزم	مثلي (كناية عن نسبة)
وأجد فاتر النية وأحيا ميت الرأي (مكنية)	تدمع له العين حزنا وأسى ويتقطع القلب غيضا
شحذ العزم (مكنية)	وجوى (كناية عن صفة)
رفع الحجاب عنه(مكنية)	
يتلاعبون (تصريحية)	
إلى بيع الدين والمروءة (مكنية)	
طويته (تصريحية)	
رحمة يظلنا جناحها (مكنية)	

الوسائل المنطقية : ظهرت قدرة أبي حيان في وسائله المنطقة المبنية على الحجاج فنذكر:

الجمل الدعائية وأسلوب الشرط : " وأجارنا جميعا مما يسود وجه عهد إن رعيناه كنا مستأنسين به وإن أهملناه كنا مستوحشين من أجله"[1].

الدلالة التي يحملها الشر هي الربط والإلزام، والإلزام أحد مقتضيات الحجاج.

[1] ياقوت الحموي: معجم الأدباء ص 1933

استعمال أبي حيان للروابط الحجاجية، كالفاء العاطفة في قوله" فعجبت من انزواء وجه العذر عنك في ذلك".

"ثم" ، " الفاء السببية" (فلم أجد، فلم أصب)، " فاء التعليل"، "حتى" ، "الواو العاطفة" فهذه الروابط الحجاجية تعمل على ربط وتنظيم بنية النص وتجعل منه وحدة متكاملة، "الفاء التفريعية الاستئنافية" (فأما ما كان)، " ما الموصولة" (ما كان وما كان).

أسلوب التشبيه وتوظيف حجة الشاهد المتمثل في آيات القرآن، في قوله تعالى:

﴿ ۚ كُلُّشَيۡۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡۡحُكۡۡمُ وَإِلَيۡۡهِ تُرۡۡجَعُونَ﴾[1]،﴿ ۚ كُلُّمن عليها فان ﴾[2]

تشبيه عقلي حجاجي يخاطب من خلاله عقل مخاطبه، والاحتجاج بالنص القرآني لا يدع للمخاطب شك، إذ لا شك أن الآية القرآنية لا يجحدها لبيب.

نجد أيضا علاقة الاقتضاء أي أن جملة الشرط للحجة الأولى تكون في الحجة الأخرى هي فعل الشرط كقوله:" فليهن عليك ذلك" وهذه الأخيرة تصبح سببا لنتيجة أخرى في قوله:" فما انبريت له ولا اجترأت عليه حتى...في الخاطر"، هنا نجده ربط بين كل سبب ونتيجة بفاء التعليل مما جعل العلاقة أعمق بين أجزاء الكلام.

-**الحجة الدينية**: تمثلت في استخارة الله والوحي في المنام

[1] القصص 88

[2] الرحمن 24

-الترابط التعاقبي:

يظهر في قوله:" إن العلم حاطك الله يراد للعمل، كما أن العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصرا عن العلم كان العلم كلا على العالم"[1] وفي قوله:" ثم اعلم – علمك الله الخير- أن هذه الكتب حوت من أصناف العلم سره وعلانيته، فأما ما كان سرا فلم أجد له من يتحلى بحقيقته راغبا، وأما ما كان علانية فلم أصب من يحرص عليه طالبا"[2] ، تصدرها بأداة عطف " ثم" أتبعها بالفعل" اعلم" وأكد الفعل ب" علمك الله" جملة دعائية، وأكد أبو حيان أن كتبه تحوي أصناف العلم ب" قد" فنجد هنا حجته مقسم إلى أجزاء من الكل والقاعدة التي تنطبق على الكل تنطبق على الجزء والعكس صحيح، فالعلاقة رياضية منطقية وهذا ما أكد المعنى وبلغ به درجة الإقناع.

-الاستفهام الإنكاري الممزوج بالتعجب: " وكيف أتركها لناس جاورتهم عشرين سنة، فما صح لي من أحدهم وداد، ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ"[3] ، كما جاء النفي في كل جملة بأداتي النفي"ما،لا "

-الحجة الواقعية: إبراز أحوال الزمان لقوله" وأحوال الزمان بادية بعينك بارزة بين مسائك وصباحك"

-حجة شخصية: تمثلت في تبيان أبي حيان لعمره وانتظار الموت وشدة الاتعاظ بالفقد: الأحباء والأدباء والغرباء.

[1] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ص 1933

[2] المصدر نفسه: ص 1933

[3] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ص 1933

-**استعمال المجاز العقلي**: العلاقة زمنية " زمانا أحوج "

-**الإحالة القبلية**: في قوله: " بلغك" والتي ترجع إلى ما فصله أبو حيان قبل ذلك مما لاقاه من حرمان وشقاء وتنكر من قومه.

-**تكرار أداة الاستثناء والحصر** "إلا" في قوله: " وهل جامع الكتب إلا كجامع الفضة والذهب، وهل المنهوم بها إلا كالحريص الجشع عليهما ؟ وهل المغرم بحبها إلا كمكاثرهما؟ إضافة إلى ذكر ثلاث تشبيهات موجودة في القول.

استعمال أسلوب السؤال والحوار والتعليل.

-**الموقف الشخصي** :

إن حادثة حرق أبي حيان لكتبه عظيمة الشأن والوزن، لما لها من أثر نفسي وفقد لغوي لإرث تاريخي، صراحة قرار جد صعب قد تجرأ عليه هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد ذكر دوافع دامعة دفعت به لذلك، فنرى أن أبا حيان كان أنانيا بتصرفه هذا فقد انتقم من نفسه لا مِنْ مَنْ كان معه فبالرغم من ذكره لحجج حاول إقناع صديقه بها إلا أنها تصب في مصب ذاتي، ونفسيته السوداوية كلفت خسارة عظيمة لمكتبة التراث الأدبي .

الخلاصة:

حياة الفقر واليأس دفعت أبا حيان إلى تطوير العلم فكان المعرفة هي هدفه للوصول إلى مبتغاه. وكانت له علاقة متذبذبة مع الأمراء والأدباء من جيله و لم يكن يتعلق بأحد منهم إلا القليل مع دخوله في صراع معهم.

تتجلى مضامين رسائله في الجوانب التالية: ديني، فلسفي، سياسي امتاز أسلوبه بالتدفق والسهولة واليسر وتأثير في النفس استخدام الفنون البلاغية خاصة السجع والتكرار.

خاتمة

بعد رحلتنا المختزلة في رحاب عملنا البحثي المتواضع، خلصنا إلى جملة من النتائج؛ نوردها في:

- ✓ فن الترسل من الفنون النثرية التي لها امتداد جذري في تراثنا الأدبي التي ازدهرت في العصر العباسي بخاصة، إلا أنه لم يحض بالاهتمام الوافي من قبل الدارسين والباحثين.
- ✓ فن الترسل من الفنون النثرية التي شكلت لها الدواوين وبرع فيها الأدباء الكتاب.
- ✓ تفوق الأدباء الكتاب في هذا الفن وعدم خروجهم عن نمط الرسالة المعهود.
- ✓ فن الترسل انعكاس العصر ، يميز من خلاله مستوى الأدباء الكتاب.
- ✓ ازدهار فن الترسل في العصر العباسي فتح أفاق جديدة لأدباء الكتاب ليبرعوا في هذا الفن.
- ✓ عرف الترسل بأنواعه " ديواني، إخواني ، أدبي" حضورا عظيما في عصور الأدب العربي.
- ✓ الرسالة جسر فني تواصلي، يعبرون من خلالها عما يختلج النفس في مواضيع مختلفة ومتعددة.
- ✓ غزارة مكتبة الأدب العربي بالرسائل سواء اخوانية، ديوانية، أدبية.
- ✓ كشفت الرسالة عن امتلاك أبي حيان لعقلية منطقية منظمة قادرة على الإقناع.
- ✓ وظف أبو حيان العديد من العناصر اللغوية والوسائل البلاغية والمنطقية التي كان لها أثر أبلغ في الإقناع والتأثير في مخاطبه.
- ✓ لم تستطع الحجج التي قدمها أبو حيان ، أن تبرر فعلته الشنيعة.
- ✓ أظهرت الرسالة أزمت أبو حيان من إنكار أماله الدنيوية مما عاد إليه بكراهية لقومه الذين تنكروا لعلمه وأدبه وقابلوه بالكراهية والإهمال الذي دفعه للانتقام بإحراق كتبه .

قائمة المصادر والمراجع

المعاجم:

ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979، ج2.

أبو بكر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة مشكاة الإسلامية، د ت، د ط .

أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008.

جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ط2.

التونجي محمد: المعجم المفصل في الأدب العربي،ج2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1993م.

المصادر و المراجع:

1. ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، الدار البيضاء للكاتب، د ط، لبيا، 1978م.

2. ابن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ت محمد أبو الفضل إبراهيم،ج2، دار المعارف، مصر.

3. ابن شهيد الأندلسي: رسالة التوابع والزوابع، تح: بطرس البستاني، دار صادر، ط1، بيروت، 1967م.

4. أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، مراجعة: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت، 2011.

5. أبو هلال العسكري: الصناعتين، ت ح مفيدة قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1989.

6. أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، مصر ، ط8، 1991.

7. أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، مكتبة النهضة ، ط3،مصر، 1964 م..

8. أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهية، مكتبة مصطفى الحلبي، القـــاهرة ط1، 1972

9. أسماء عبد الرؤوف عطية الله: الرسائل في العصر العباسي: أنواعها وخصائصها الفنية.

10. أمل دعواق سعد: فن المراسلة عند مي زيادة، دار الأفاق.

11. الجاحظ: البيان والتبيين، دار الهلال، بيروت، لبنان، ج1.

12. جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج2، مطبعة الهلال، الرياض.

13. حسين نصار : نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2002.

14. الحصري القيرواني: زهرة الآداب و ثمر الألباب، دار الجيل، بيروت، ج4.

15. حنا الفاخوري: في الأدب العربي وتاريخه، ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1991م.

16. زبير دراقي: المستقصي في الأدب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995م.
17. زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع هجري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر.
18. السيد أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أبيات وإنشاء لغة العرب، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.
19. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر ، ط5.
20. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات والأندلس، ج8، دار المعارف، مصر
21. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ج3، دار المعارف، ط8.
22. الطاهر بن عاشور: جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، جمعها وقرأها ووثقها: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2005، ج3.
23. عبد العزيز شبيل: نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري، جدلية الحضور والغياب، دار محمد علي الحامي، تونس، ط1، 2001.
24. عبد المتعالي الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، 2005،ج4.
25. علي بن محمد: النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس، مضامينه وأشكاله، ج1، دار الغرب، ط1،د ب، 1990م، ص208.
26. فوزي سعد عيسى : من قضايا النثر الفني في القرن الرابع وما بعده، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998.
27. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1987، ج1.
28. محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي.
29. محمد خير شيخ موسى: النثر الفني في النقد العربي (فن الكتابة)، ط1، مكتبة ابن كثير، الكويت، 1997م.
30. محمد زغلول سلام: الأدب في عصر العباسيين، من بداية القرن الرابع إلى نهايته، منشأة المعارف، ط1، الإسكندرية، مصر، 1999، ج2.
31. محمد كرد علي: أمراء البيان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، القاهرة، ج2 .
32. مهنا علي جميل: الأدب في ظل الخلافة العباسية، ط1، 1981م،ص222.
33. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، ط2،الرياض، السعودية .

34. مي يوسف خليف: النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، دار قباء للطباعة والنشر.
35. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، لبنـــان، ط1، 1993، ج 5.

المجلات والمقالات العلمية:

1) أحمد الحوفي: النثر الفني عربي النشأة، مجلة المورد.
2) ماجدة محاينة: مفهوم الإنسان عند أبي حيان التوحيدي، مجلة التراث العربي، ملخص بموقع اتحاد الكتاب العرب، ع 73، دمشق، 1998.

الرسائل الجامعية:

1. ابراهيمي صليحة: الرسالة الاخوانية في التراث العربي- مقاربة أسلوبية- رسالة مقدمـــة لنيـــل شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخصص، نظرية الأدب والمناهج النقدية المعاصـــرة، كليـــة الآداب و اللغات والفنون، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016-2017.
2. بن مساهل باية: الخطاب النثري في كتاب المثل السائر لإبن الأثير،مذكرة مقدمة لنيل شـــهادة المجاستير ، تخصص أدب عربي، فرع أدب عربي قديم، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2008-2009م.
3. بيوض فائز: النثر الجزائري في العهد العثماني- الرسائل والكرامات أنموذجا-، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الأدب العربي والفنون، جامعة باتنة1 الحاج لخضر، الجزائر، 1440-1439ه 2018-2019م.
4. شيخ أمال: البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، مذكرة مقدمـــة لنيـــل شهادة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة المســـيلة، الجزائر، 2009- 2010.
5. عبد الحليم حسين جدوع الهروط، الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني أحمر، رسالة ماجستير في اللغة العربية وأدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، أيار، 1994م.

6.علة ثليجة: بلاغة الخطاب الترسلي- رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي أنموذجا-، رسالة ماجستير في البلاغة وتحليل الخطاب، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2016-2017.

7.فيصل حسين طحيم العلي: كتاب فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد، مذكرة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1422ه-2001م

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة ..... أ

الفصل الأول:مفهوم الترسل وأنواعه

المبحث الأول :الترسل الدلالة اللغوية والاصطلاحية..... 06

المبحث الثاني:أنواع الرسائل 12

المبحث الثالث: نشأة فن الترسل..... 23

الفصل الثاني: الخصائص المضمونية والأسلوبية لفن الترسل في التراث العربي

المبحث الأول: أصول ومصادر الترسل في الثقافة العربية القديمة..... 37

المبحث الثاني: أغراض الترسل..... 47

المبحث الثالث: الخصائص الأسلوبية والبنائية لفن الترسل 51

الفصل الثالث: التحليل التداولي للرسالة الإخوانية في التراث العربي.....65

المبحث الأول: التقديم النظري.....65

المبحث الثاني: الإجراء التطبيقي.....69

خاتمة **94**

قائمة المصادر والمراجع **96**

فهرس المحتويات..... **100**

الملخص

الترسل أحد أفخم الفنون النثرية، يعبر عنه بالإكثار من كتابة الرسائل، حيث عرف ازدهارا واسعا عبر العصور المختلفة.

ومن هنا ارتقى بجل أشكاله من حيث رسائل ديوانية، إخوانية، أدبية، فعبر التراث قد مس جميع أغراضه تطور في بنياته من مدح وذم وعتاب.....

في خضم هذا قد استعرضنا أعظم نموذج عن سمو فن الترسل(رسالة أبو حيان التوحيدي)، التي خلصنا من خلالها إلى أن توظيف مثل هذه الرمقات الأدبية في التعبير يضفي عليها جمالا فتانا.

الكلمات المفتاحية: فن الترسل، التراث العربي، البنيات، الأشكال .

Summary :

Lettering is one of the most luxurious prose arts. It is expressed in a large number of letters, and has flourished widely throughout different eras.

From here, most of its forms rose in terms of religious, brotherly, and literary messages. Through the heritage, it touched all its purposes and developed in its structures of praise, condemnation, and reproach.....

In the midst of this, we have reviewed the greatest example of the sublimity of the art of sending (the treatise of Abu Hayyan al-Tawhidi), through which we concluded that employing such literary gestures in expression gives it a fascinating beauty.

Keywords: art of transmission, Arab heritage, structures, shapes.